

المأساة والتعادلية في مسرحية «أهل الكهف»

بقلم : الحبيب الدريدي

○ مدخل : أوليات المسرح عند العرب

كانت نشأة المسرح الاولى في بلاد اليونان والاعريق ، وتعود كتابة النصوص المسرحية الاولى الى رواد هذا الفن في القرن الخامس قبل الميلاد من أمثال سوفوكليس وإسخيلوس ويوربيدس الذين اعتمد أرسطو (المتوفي نحو 322 قبل الميلاد) كتاباتهم في تدوين مؤلفه المشهور (فن الشعر) الذي اهتم فيه بتقنين فن المسرح ووضع القواعد المسرحية التي بقيت الى وقت غير بعيد تؤخذ كمناهج وتعاليم مقدسة في التأليف المسرحي وجب التزامها والعمل بها على كل كاتب في فن التراجيديا .

ورغم اتصال العرب الوثيق بهذه الافواق - خصوصا في صدر الاسلام وضحاها - فإنهم كانوا شديدي الإحقرار في اقتباس هذا الفن ونقله فقد اكتفوا بترجمة العلوم والمعارف دون الآداب والفنون نتيجة لما كان يعتريهم من جازم اعتقاد وثابت إيمان في أن أدبهم لا تضاهيه آداب الروم واليونان وشعرهم أجمل وأقوى من شعر بقية الأمم التي كانت تنافسهم في تلك الفترة الريادة في مضمار الادب والشعر ، وتبعاً لذلك لم ير العرب داعياً لنقل أدب اليونان وفنه - بما في ذلك المسرح - بل استعابوا ذلك واستنكفوا منه وعنده استنفاصا لشأن فحول شعرائهم وطعنوا في قيمته وتشكيكا في صنعتهم . فكان أن دفعوا الحرمان من المسرح أمدا طويلا ثمنا لخطيئة الكبرياء التي لازمتهم كثيرا وحالت دونهم والتفتح على الآداب الأجنبية وبالتالي ترجمة مسرحيات اليونان الشعرية .

كما كان تأخر دخول المسرح الى البلاد العربية يعزى الى أن ظاهرة الصراع التي تقوم على أساسها التراجيديا تتناقض مع خصائص الحضارة العربية الاسلامية ذات الطابع التوحيدي في حين أن تواجدها مباح في إطار الحضارات ذات الطابع الثنائي الذي من شأنه أن يمهد لظهور قوتين متقابلتين لما ينشأ بينهما من صراع مثلما هو الشأن للحضارة اليونانية . فقيام

الحضارة العربية الاسلامية عموما على قوة واحدة مهيمنة ساهم بشكل أو بآخر في حضر فن المسرح وتأخير ظهوره في البلاد العربية .

ويمكننا أن نحيلكم على بعض المراجع التي خاضت في هذه المسألة كمقدمة توفيق الحكيم التي كتبها لمسرحيته (الملك أوديب) ومقال لطراد الكبيسي وقع نشره بمجلة (افاق عربية) في العدد الثاني عشر لسنة 1976 بعنوان (لماذا لم يعرف العرب المسرح) ثم كتاب هام لمحمد عزيزة يحمل عنوان (الاسلام والمسرح) .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر ، وبحكم تردد العرب على البلاد الاوروبية وغشيانهم مسارح باريس وروما وغيرها ومن ثم تأثرهم وانبهارهم بالفن التمثيلي الغربي ، بدأت تظهر بعض الفرق المسرحية بالبلاد العربية وكانت فرقة سليم النقاش التي تكونت بلبنان أولى الفرق التي تقدم فصولا تمثيلية على الركح وأمام الجمهور مباشرة .

وقد اتخذ المسرح عند العرب في بدايته اتجاها ملحما ممجدا بذلك نماذج من أبطال العرب ومشاهيرهم «كعنتر وعيلة» أو «قيس وليلى» أو اتجاها واقعا يهتم فيه بمعالجة مشاكل العصر الاجتماعية والاخلاقية ...

ويظهور أهل الكهف يبرز اتجاه فلسفي ذهني في المسرح العربي مثيرا جملة من المسائل والقضايا في إطار المأساة أو الصراع التراجيدي، وقد جاء في مقدمة مسرحية توفيق الحكيم الذهنية الثالثة (بيجماليون) قوله : «إني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن وأجعل الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق في المعاني مرتدية اثواب الرموز» .

○ المأساة في «أهل الكهف»

لقد اتفق جميع النقاد في تعريف المأساة بأنها اجتهد الانسان ومثابرته في صراعه مع القوى المتألبة ضده ثم انهزامه في النهاية ، فالبطل التراجيدي يقع بين قوتين متناقضتين وبعد أن يكون قد خاض صراعا مريرا من أجل تأكيد انحيازه لاحد القوتين يردّ منهارا ومهزوما .

○ الشكل / المأساة

الاطار المكاني : تدور أحداث المسرحية في مكانين رئيسيين هما الكهف وبهو الاعمدة وفي المسرحية ذكر لأمكنة أخرى تحرك فيها الأبطال مثل بيت مزنوش وقبر ابنه وطرسوس المدينة .

ولئن تراوحت الاحداث بين الكهف وقصر الملك اللذين تجاذبا طيلة المسرحية موقع الاحداث فإن الغلبة في النهاية كانت للكهف الذي شكل مكان انطلاق الاحداث ومكان انتهائها وكان مأوى الابطال ومآلهم الاخير بما يميزه من ظلمة وموت ، يقول يميلخا : «إني رأيت الشمس تميل عن الكهف على نحو عجيب» .

الاطار الزماني : ما قلناه بشأن الصراع بين موت الكهف وحياة بهو الاعمدة يصح على الصراع بين الظلام والنور اللذين ترددت المسرحية بينهما طيلة فصولها الاربعة الشيء الذي يجعلها مسرحية مغلقة على مستوى الزمان انغلاقها على مستوى المكان فبدايتها كانت في الظلام ونهايتها كذلك وطغيان عنصر الظلام هذا جعل الغلبة تكون له في النهاية فضلا عن ثقل المدة الزمنية المظلمة فثلاثمائة سنة في الكهف مقابل يوم واحد في مدينة طرسوس .

البناء العام للمسرحية : أربعة فصول تتراوح بين الظلام والنور والبدء بالظلام ثم العود إليه فيناء المسرحية مغلقة والشخصيات تعتبر أسرى هذا البناء لا تستطيع الاعتناق منه وهو ما يوحى بحتمية المأساة .

كذلك في عمل الحكيم ننازع بين الروايتين المسرحية والماضي من خلال التذكر واستحضار الماضي وهو ما يسمى فنيا بالومضة الورائية FLASH BACK ويظهر ذلك في **مقدمة بعض الذكريات الكعبية** يميلخا مع الراهب أو كيفية إيمان بريسكا الجدة بالمسيحية أو مساعدة مثلينيا لمرنوش في زواجه . وإلى جانب ربط الاحداث ببعضها ومعرفة عناصر الاختلاف والشبه بين القديم والحديث فقد ساهم ربط الماضي بالحاضر المسرحي بشكل واضح في تصعيد الصراع المأساوي وإضفاء طابع التراجيدية على النص المسرحي من خلال الطرح الضمني للعديد من الاسئلة : قطعة الفضة هل هي كنز أم عملة غيرنا فذة المفعول ؟ والصليب هل هو واقع أم حلم ؟ ثم التشابه بين بريسكا الجدة وبريسكا الحفيدة في الخلفة والتسمية والانتماء .

○ المحتوى / المأساة

إن المدار الرئيسي الذي تتحرك داخله مسرحية أهل الكهف هو صراع الانسان مع الزمن وإن اختلفت مظاهر الصراع وطرائق مجابهة الزمن من شخصية إلى أخرى .

فيمليخا الراعي كان مؤمنا إلى درجة التصوّف والالتحام بالاشراقات النورانية مجسداً بذلك غلبة الحس وبساطة التفكير لهذا جرت على لسانه عبارات تحمل مدلولاً حسيّاً : «لو تعلمان ما رأيته وما سمعته» أو : «أخرج وانظر مدينة طرسوس لن تعرفها» .

ولما اكتشف الفارق الزمني بينه وبين عصر البعض استسلم بسرعة وأمن باستحالة الحياة في عصر لم يخلق له خصوصاً وقد انتفتت رابطته إلى الحياة فكانت عودته إلى الكهف ليموت مؤمناً ، كل ذلك رغم أنه حاول في البداية أن يتجاوز وطأة الزمن من خلال الاسطورة عند روايته لقصة الراعي الذي اعتصم بالكهف شهراً لما داهمه السيل لكن شعوره المرير بالوحدة والغربة في هذه الحياة الجديدة جعله يرضخ لفعل الزمن فنراه يودّع صاحبيه في كثير من المرات واليأس : «لقد صرت وحيداً ... الوداع يا إخوان الماضي» .

كذلك مرنوش ذو المفهوم الضيق المتحجر وصاحب النزعة العقلية الواضحة في ردّه على يمليخا : «أستطيع العقل البشري تصور ما نقول» وفي موضع آخر يقول : «ما نقول يا يمليخا لا يمكن أن يتخلله عقل بشري» ثم يذكر في معرض جدال بينه وبين يمليخا الراعي دائماً : «إن لي عقلاً قبل كل شيء وهذا الكلام الذي تقولونه ينكروه هذا العقل» هذا الرجل العقلاني ضعيف الايمان الذي يصل في بعض الأحيان لدرجة اللحاد كان استسلامه سريعاً هو الآخر بعد جولته في المدينة واكتشافه ~~سراً~~ ^{من} الثلاثة وقرون ونيف التي تفصله عن هذا العالم وبالتالي وقوفه على حقيقة زوجته وابنه فلم يتمالك عن التصريح بالهزيمة والافرار بالفشل فأذعن لأمر الزمن : «هذه الحياة الجديدة لا مكان لنا فيها» .

أما مثلينيا فقد كان أكثر الجماعة صموداً لتسلحه بالعاطفة التي أبت الانقياد وأنكرت الرضوخ والاذعان فقد كان يصدر عن عقلية تثبت الواقع من خلال الاحساس الذاتي المتجدد وتولّده بواسطة طاقة شعورية خلاقة : «إننا في الحياة قبل كل شيء . إننا نعيش ونحسّ ونشعر» وهكذا يصبح الزمن هذا المارد المتجبر مجرد نتاج لاحساس ذاتي لا انفصال له عن الذات ولا وجود مستقلاً له خارجاً عنها : «نحن نحلم الزمن هو وليد خيالنا وفريقتنا ولا وجود له بدوننا» .

ومما زاد في ثبات مثلينيا وصموده أنه مثل نهجا توفيقياً بين العقل المجرد والحس المجرد وحاول تجاوز عقبة الزمن بواسطة الحب فتراه يقول

لبريسكا في الفصل الثالث من المسرحية بعدما ذكرته بالحقيقة الفاصلة بينهما : «كل هذا لا يهمني الآن لانني عانش في حقيقة واحدة ، اني سعيد هنا وأن قلبي هنا» .

ولكن مهما طال عناد البطل التراجيدي ومهما استمر إصراره على البقاء فإنه منهزم لا محالة خائب في تجربته وهذا ما جعلنا نقف على مشلينيا وقد خارت قواه ويئس من جدوى المجابهة يقول : «إنا لا نصلح للزمن .. لا نصلح للحياة» رغم محاولة الحكيم إيهامه بأن كل ما عاشه من وقائع لا يعدو أن يكون مجرد حلم كاذب أو إمكانية تجدد التجربة واردة فلا يتمالك مشلينيا عن القول : «أحمد الله على أنه حلم وإلا كنت فقدت بريسكا الى الابد» .

ومما يستوجب أن نقف عنده قبل المرور الى المرحلة الموالية من هذا العمل نعدد الحكيم تجاوز المأساة لاثارة الفاجعة في أبطاله بغية تكثيف الاثارة وتمديد الصراع فنراه يقتل مرنوش شر قتلة في أهل الكهف مثلما فعل في مسرحية أوديب الملك عندما رأينا في النهاية جوكاستا تنتحر وأوديب يسمل عينيه قائلا : «لن أبكيك إلا بدموع من دم» وتندرج هذه النهايات التراجيدية في إطار ما أسماه أرسطو في كتابه (فن الشعر) بقانون التطهير الذي يقوم أساسا على إثارة عاطفتي الشفقة والرعب في المتفرجين عندما يلقي البطل المأساوي مصرعه .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

○ التعادلية في «أهل الكهف»

لم يكتب الحكيم نصّه المسرحي «أهل الكهف» بمعزل عن طابعه الشرقي الاسلامي وبمناى عن السمات المميزة لهذا الطابع الفكري . وأول هذه السمات التي تمنح نفسها للدارس منذ القراءة الاولى غلبة الفكر التعادلي على بناء المسرحية الدارمي .

وعلى هذا الاساس لم يعد تراوح الاحداث بين الظلام والنور من جهة وبين الكهف بالرقيم وبهو الاعمدة بمدينة طرسوس من جهة ثانية من باب التصعيد المأساوي وخلق أسباب الصراع التراجيدي المحرك للمسرح الذهني . بل تصبح هذه المواجهة ناشئة من طغيان فكرة التعادلية لدى توفيق الحكيم أو قل لدى الرجل ذي الطابع الشرقي الاسلامي كما أسلفنا وبهذا يصبح التقسيم الثنائي لبناء مسرحية «أهل الكهف» تقسيما متكلفا ومفتعلا ويتحول ذلك الانغلاق المسجل على مستوى المكان والزمان من رمز لمأساوية الشكل

الذي كتب فيه الحكيم نصه المسرحي وعنوان لتراجيدية الاطار الذي تحركت داخله الشخصيات ودارت فيه الاحداث إلى دلالة على تعادلية التركيب المسرحي .

هذا شكلا ، أما محتوى فتجدر الملاحظة إلى تدخل عامل التعادلية في توجيه الشخصيات وربط الاحداث فلم يكن الابطال يتحركون من تلقاء أنفسهم بل على العكس كان الحكيم يتصرف فيهم ويوجههم حسب إرادته ليملي عليهم أفكاره الخاصة ثم نراه في الاخير يسارع بتسليمهم فراد فردا الى الزمن مكبلين بأغلال الهزيمة دون أن يدفعهم الى الاستيسال والمواجهة ويدعوهم إلى الدفاع عن وجودهم وهو ما يتنافى مع مفهوم المأساة كما عرفناها في غير هذا الموضع . كما قمع الكاتب بعض شخصياته وتعسف عليهم عندما أجبرهم على إثبات مواقف تتعارض وتتناقض مع ما ظهر لديهم في المسرحية من توجهات وقناعات على غرار ما فعل في النهاية ببريسكا الحفيدة التي أخذها الى الكهف لتموت بجانب مثلينيا رغم إصرارها ورفضها أن تكون مجرد مواصلة لبريسكا الجدة في عواطفها وتعلقها بالوزير مثلينيا . كذلك الشأن بالنسبة لمرونش الذي قتله الحكيم قتلة ذميمة وغالياس المؤدب الذي تهكم عليه تهكما صارخا مما يوحى برفضه للعقلانية المجردة من كل إيمان والايمان الساذج الخالي من روح التحلل .

وهكذا يكون توفيق الحكيم قد أسقط العديد من مواقفه الخاصة في المسرحية إرضاء لنزعة التعادلية التي تسكنه .

وبين هذا وذاك يمكن القول أن مسرحية «أهل الكهف» تعبّر عن مأساة ولو أن ذلك تم بصفة محدودة إذ كانت أول مسرحية ذهنية في الادب العربي وأول تجربة لتوفيق الحكيم في هذا الشكل الادبي . ولكننا نقف فيها على بعض الخلل التي تتعلق سواء بالشكل أو بالمضمون ولنذكر على سبيل المثال طابعها النخبوي وروح الهزيمة المنفسية فيها الشيء الذي يجعلها موضوعا للتأويل وللقرءاءات المتعددة .

ولئن تضمنت المسرحية موقفا من التراث فقد جاءت كنتاج بارز لظروف تاريخية معنية كانت روح المأساة طاغية عليها وستظل بأبعادها الحضارية والسياسية خير مصوّر وكاشف لارهاصات المجتمع العربي عموما والمصري خصوصا في فترة حساسة من تاريخ الامة العربية ألا وهي الطور الثالث للنهضة التي حاول الحكيم من خلال «أهل الكهف» الاجابة عن بعض أسئلتها الممضنة العاتية .

فهل كانت أجوبة توفيق الحكيم تقدمية أم رجعية ؟؟ وهل كان متفائلا
بمصير الامة العربية أم متشائما ؟؟

هذا ما يمكن أن يكون موضوع دراسة قادمة قد اهتم بإنجازها في فرصة
لاحقة حتى يمكن لتلامذة البكالوريا الالمام بجميع القضايا التي يمكن أن
تكون مادة المسرحية منطلقا ثريا لطرحها وحتى يتسنى لهم رصد جميع
المدارات التي يتحرك داخلها فكر توفيق الحكيم .





من تخير ؟

شعر : فاطمة الديردي

أغار ، أتعرف ممّن أغار
على من أثور ، وممّن سآثار

على من سافرغ بركان حقدني
ومن سوف اغتال دون تأثر

ومن سوف أنسيك فيه بعزم
ومن سوف أكره أكثر فأكثر

ينافسني في هواك فخورا
ويجزم انك لن تتغير

ويقهمني ذكره في عناد
متى كان ذكر (السجائر) يقهر

أغار ، فتبغك مصدر عشق
ومصدر عشقك لغز محير

تكلم بصدق ، وبح بوضوح
وكن واقعيًا ، وقل من تخير ؟

المقامات

بقلم : محمد الهادي عبد الواحد

التخطيط :

1 - تقديم الهمداني

2 - تقديم المقامات

3 - أغراضها

الكدية

التعليم

النقد الأدبي والاجتماعي

4 - أسلوب المقامات

5 - هل يمكن اعتبار المقامة قصة ؟

6 - بطل المقامة

7 - راوية المقامة

8 - الخاتمة

المقدمة :

ظلّ النثر الفني يتطور مع القرن الثاني للهجرة وعرف أوجه في عهد الدولة الأموية وقد اشتهر من الكتاب آنذاك عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وكانا يتمتعان بأسلوب فني رائع رغم بساطته وسهولته لكنه سرعان ما خرج عن طبعه هذا ليشهد مع العهد العباسي بهرجا وزخرفا وزينة لفظية حتى أصبحت الصناعة ميزة النثر ، وتهالك الأدباء على المنافسة اللفظية فكان ابن العميد والصاحب بن عباد خير ممثلين لهذه التوشية وهذه الزينة

اللفظية ، وحين جاء البديع لم يجد بداً من الاستمرار في هذا الاتجاه ومحاكاته فكان فناً جديداً ابتدعه بديع الزمان الهمذاني وسار فيه ذلك هو فن المقامة وتعني المجلس الذي يجتمع فيه الناس للمسامرة وأطراح الحديث لكن المقامة كانت ظهرت منذ العهد الأموي في شكل زهديات تلقى بين يدي الملوك والأمراء وأولى الأمر لتذكيرهم بحقوقهم على الرعية وحقوق الرعية عليهم ثم شهدت المقامة تطوراً وأصبحت تهدف الى التعليم وأصبح ههما محصورا في الكدية في أسلوب منسق موشى فمن هو بديع الزمان الهمذاني ؟ وما عسى أن تكون المقامة ؟ وما هي أغراضها وكيف كان أسلوبها ؟ وأخيراً هل يمكن أن نعتبر المقامة تمهيدا لظهور القصة في الأدب العربي ؟ .

تقديم الهمذاني :

بديع الزمان الهمذاني : هو أبو الفضل أحمد بن الحسن يعرف باسم بديع الزمان الهمذاني ولد بهمدان سنة 380 هجرية ويظهر أنه لم يكن محباً لها روى له ابن خلكان بيتين يذم فيهما همدان وأهلها ذماً قبيحاً :

همدان لي بلد أقول بفضله كنه من أقبح البلدان
صبيانهُ في القبح مثل شيوخه شيوخه في العقل كالصبيان

<http://Archivebeta.SaKirrit.com>

ترك همدان اذا الى حضرة صاحب بن عبّاد فتزود من آثاره وحسن ثماره .

يروى المؤرخون أن بديع الزمان أشتهر بحافظة قويّة . يقول صاحب اليتيمية : أنه كان صاحب عجائب وغرائب وبدائع ، انه كان اذا أنشد القصيدة التي لم يسمعا وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها . كما اشتهر بديع الزمان بسرعة الارتجال ، كان يترجم ما يقترح عليه من أبيات الفارسية بالأبيات العربية دون أن يخل بالمعنى فيجمع فيها بين الابداع والاسراع .

يقول الحصري : هذا اسم ويعني البديع وافل مسماه ولفظ صابن معناه ، كلامه غصن المكاسر أنيق الجواهر يكاد الهواء يسرقه لصفا والهوى يعشقه طرفا « زهر الآداب » .

تقديم المقامات :

(1) عددها : ذكر الرواة أن الهمذاني ألف مقامات بلغ عددها اثنين وخمسين . لكن الهمذاني يقول في رده على الخوارزمي : « لو أنصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو يقصر سعيه فيعلم أن من أمامي من مقامات الكدية أربعمئة لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى . » فهو إذا أبدع أربعمئة مقامة لم يذكر الرواة منها الا اثنتين وخمسين . وقد يكون السبب الذي دفع المؤرخين للاقتصار على هذا العدد دون ما ذكره البديع أن هذا الأخير بدأ محاولاته في هذا الفن لمقامات بدائية غير محكمة الصنعة فتكون هذه المقامات ضاعت وأن النساخ أهملوها فلم يثبتوها في مقاماته لضالة قيمتها الفنية .

(2) أغراضها : يذكر المؤرخون أن بديع الزمان الهمذاني وضع مقاماته في الكدية . فهو إذا الهدف الرئيسي والأساسي منها ألا أن هناك أغراضا أخرى لا تقل عن الأولى قيمة سخر البديع المقامة لها وقصدها لنفسها سنتبينها وفي مكانها من البحث .

(3) الكدية : الكدية هي إذا كما قلنا الغرض الأساسي من المقامة فحيثما قُلبت بصرك في مقامات الهمذاني تتمثل لك صورة الاسكندر شيخ المكذبن واقفا في الناس يحتال عليهم بشحنهم للبلد والعطاء بأسلوب بليغ وضرب من البيان عظيم .

والكدية لم تأت الهمذاني عن طريق المعرفة في الكتب والآثار وانما عرفها عن طريق المعاينة والمشاهدة ، فمنذ عهد الجاحظ كانت جماعات من الشذاذ وقطاع الطرق قد تنظمت وعرفت في الأوساط الاجتماعية باسم الفتيان وكانت هذه الفئة تكسب قوتها بالسلب والنهب ثم تفرعت عن هذه الجماعات طائفة عرفت بأهل الكدية كان أفرادها يمتنون التسول ويرتضونه مذهباً في الحياة .

(4) المقدرة اللغوية : يأتي بعد الكدية أغراض أخرى قصد إليها الهمذاني من تصنيفه للمقامات من هذه الأغراض بيان المقدرة اللغوية وإظهار باعه في الامام بمفردات اللغة العربية ورسوم قدمه في تراكييها ومذاهب الكلام فيها

شعرا ونثرا لذلك تراه يعمد إلى الغوص والبحث وإيراد المفردات المهجورة ويغرق في بحر الصور البلاغية فتراه في المقامة الحمدانية يعدد أوصاف الفرس فيبرز معرفته بالخيل واحاطته بمسميات أعضائه ودقائقه : قال : متحدثا عن فرس : « انه طويل الأذنين واسع المرأة (1) ، غليظ الأكرع ، ضيق الفلت (2) واسع الشجر (3) بعيد العثر يأخذ بالسابع ويطلق بالراسع » . ثم يأخذ في تفسير هذه المفردات تباعا وكأنه يشرح معنا لغويا .

ولو درج الهمداني على هذا النمط في اظهار المقدرة اللغوية لذاتها لقلنا غير مترددين انه قد ركز اهتمامه على الناحية الشكلية وأهمل الموضوع وأن مقاماته ليست بذات محتوى وبالتالي لا تكتسي أية قيمة ، لكنه إلى جانب الشكل لم يهمل المضمون فقد خصص بعض مقاماته ليتناول فيها النقد بنوعيه الأدبي والاجتماعي .

(1) النقد الأدبي :

خصص الهمداني مقامة كاملة لنقد الجاحظ . قال على لسان أبي الفتح الاسكندري : « يا قوم لكل عمل رجال ولكل مقام مقال ولكل زمان جاحظ ولو انتقدتم لبطل ما اعتقدتم ان الجاحظ في أحد شقي البلاغة يقتضب وفي الآخر يقف والبلغ لم يقصر نظمه عن شعره ولم يزور كلامه بشعره فهل تروون للجاحظ شعرا رائعا قلنا لا ! قال فهلتموا إلى كلامه فهو بعيد الاشارات ، قليل الاستعارات ، قريب العبارات منقادا لعريان الكلام ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسموعة ؟

واضح في هذا النقد أن الهمداني يأخذ على الجاحظ شيئين :

(1) أنه ليس له شعر رائع

(2) أن كلامه ميسور وخال من المحسنات البديعية .

(1) المرأة : الحبهة

(2) الفلت : العين

(3) الشجر : الدفن

ونقده هذا بمثابة دستور لفهم جديد في الكتابة في القرن الرابع . أي انهيار السدود بين النثر والشعر ، ووجوب الصنعة في الأسلوب وتتبع اللفظ المهجور والانصراف عن المعنى المبني . ونلاحظ من هذا النقد أن الهمداني لم يكن موضوعيا في نقده لرجل مثل الجاحظ ، فلسنا نعرف مؤلفا أو أديبا أوتي الابداع والسخرية في الشعر والنثر جميعا . ثم أن التنسيق والتزيين والتشبيهات والاستعارات والمجازات وما إليها من كماليات النثر وليست من ضرورياته . وأما انقياد الجاحظ لعريان الكلام علي حد زعم الهمداني فليس منقصة وليس عيبا يؤخذ عليه الأديب وإنما هو مبدأ جرى عليه كلام الجاحظ فالبلابة كما أوضحها ابن المقفع « التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها » .

(2) النقد الاجتماعي :

أن الدارس لمقامات الهمداني بروية وامعان نظر يفضي الى ما فيها من اشارات بعيدة مقصودة في تصوير المجتمع بمختلف شرائحه . ففي المقامة الرصافية لوحة فنية ترسم حيل اللصوص ووسائلهم المنكرة في السرقة فقد بلغ بهم عدم التورع مبلغا عظيما حتى اتهم اتخذوا بيوت الله « التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه » مأوى ومسرحا للملصبات فكانوا يقفون في صف المصلين حتى اذا اشتغل هؤلاء بالمسجود طار أولئك الى متاعهم ولاذوا بالفرار .

والمقامة البغدادية صورة للحياة الاجتماعية في مدينة السلام وعيبت ظرفاء بغداد بالسذج من أهل البدو . إلى جانب تصوير بذل الاثرياء وتبذير الموسرين ولهو الأغنياء وبؤس الفقراء والمساكين في صور فنية رائعة تسجل حالة الناس الاجتماعية في القرن الرابع . وأبرز ما تعرض له البديع في هذا المعنى نغمته وسخطه على القضاء ورجاله . فقد استغل القضاء مطية للمكر والاحتيال قال عيسى بن هشام في المقامة النيسابورية : كنت بنيسابور يوم جمعة فحضرت المفروضة ولما قضيتها اجتازني رجل قد لبس دنية وتحنث سنية فقلت لرجل بجنبي من هذا ؟ قال : هذا سوس لا يقع إلا في صوف الأيتام وجراد لا يقع إلا على الزرع الحرام ولص لا ينقض إلا خيانة الأوقاف وكردى لا يغير إلا على الضعاف قد لبس دنيته وخلع

دينيته وسوى سيسانه وحرّف يده ولسانه وسؤل حباله وأبدى شفاشفه وغطى مخارقه وببّض لحيته وسوّد صحيفته وأظهر ورعه وستر طمعه .

ولا بد أن يكون القضاء على جانب من الانحراف بحيث يستهدف الى مثل هذا النقد اللاذع والكلام اللامع .

أما المقامة فانها غالبا ما تكون معدومة هذه العناصر ولكنها تحصر همها في حيل البطل وتهمل ما سواه فلا تبين علاقته بغيره إلا بعبارات عامّة تطلعننا على وقوعهم في حيلهم . وما الخبر وأحداثه إلا وسيلة لتبيان شخصية أبي الفتح الاسكندري بطل المقامات عند الهمداني في ضروب احتياله ومخادعاته ومن ذلك يتبين أن الحوادث والتصرفات التي تنبني عليها الأقصوصة قلما يقصد اليها الكاتب وإنما هدفه الأول تبيان الحيلة التي يلجأ إليها للوصول الى غرضه وإذا ما عرفنا أن الهدف الأساسي من وضع المقامات هو مجازاة أهل العصر في الأسلوب المصنوع والمسجوع وانها نوع من الأدب قصد لذاته ولغاية تعليمه في التصرف في فنون الكلام ، أدركنا أن المقامة أدب ألف للبلغاء وهؤلاء لا يعنون بربط أجواء القصة وإنما يعنون بالألفاظ والأساليب البلاغية . وقد فضل شوقي صنف هذا الرأي وجمع الأسباب والنتائج فقال : « ليس المقامة إذا قصة وإنما هي حديث أدبي بليغ وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط أما حقيقتها فحيلة يطرفنا بها بديع الزمان لنطلع من جهة على حادثة معينة ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة بل ان الحادثة التي تحدث للبطل لا أهمية لها إذ ليست هي الغاية وإنما الغاية التعلم والأسلوب الذي تعرض به الحادثة ومن هنا جاءت غلبة اللفظ على المعنى في المقامة فالمعنى ليس شيئا مذكورا وإنما خيط ضئيل تنشر عليه الغاية العلمية .

ولعل ذلك ما جعل المقامة منذ ابتكرها بديع الزمان تنحو نحو بلاغة اللفظ وبمثابة اللغة لذاتها فالجوهر فيها ليس أساسا وإنما الأساس العرض الخارجي والحيلة اللفظية وإن كان لذلك وجه من النفع فإن الذين انساقوا الى الثروة اللفظية وأخذوا يبتكرون صورا جديدة للتعبير ولكن في حدود سطحية وكأنما أجموا عقولهم وأطلقوا ألسنتهم فلم يتجهوا بالمقامة إلى وصف حوادث النفس وحركاتها ولا إلى افساح المجال للعقل ليعبر عن العواطف ويحللها وإنما

اتجهوا بها إلى ناحية اللَّفْظ إذ كان اللَّفْظ فِتْنَة القوم وكان التشجع كل ما الفتم من جمال في اللغة وأساليبها . وكانت ألوان البديع كل ما - راعهم منها ومن أسرارها .

حدثنا عن فنيات المقامة وأغراضها وموضوعاتها بقي أن تحدثنا عن ركانزها ولا أظنها كثيرة فهي اثنان وهما البطل والراوي .

بطل مقامات الهمذاني : أبو الفتح الاسكندري وهو شخصية عربية رجراجة المظهر ثابتة المخبر . ومخبرة صامئة الكدية . فالكدية رأس اهدافه والمحرك الاكبر لاعماله يجند في سبيلها مواهبه وجميع ما وسعه من وسائل الخداع والمكر والاحتيال يطوف بالبلاد من الشام إلى الاهواز ومن العراق الى الحجاز تصيدا لغريسته وبحثا عن غنيمته .

أنا حوالة البلاد وحوالة الافق
أنا خذروفة الزمان وعمارة الطرق

وأبو الفتح هذا رجل جشع يحب المال ويسعى الى جمعه من كل طريقه وبأي وجه كان اذ الغاية عنده تبرر الوسيلة كما يقولون . وهو متلون دائما مع الأيام كالحرباء في لباسه وطرق حديثه في منكر ينسخر وراءه حقيقة شخصية تكسو اطمار بالية وأسماخ خلقة قد اعتضد خرقه وأعتمد عصا وتقلص دنية وتطلّس قوطه ووقه في الناس محدثا بلغة رائعة واسلوب بليغ يبهز الناس بوفرة علمه وكثرة معرفته وسحر بيانه وليس تحيله ومكره من فاقه لزمته أو حاجة اضطرته ولكنه الجشع والتهافة على جمع المال . يقول :

لا يغرنك الذي أنا فيه من الطلب
أنا في نعمة تضيق لها بردة الطرب
أنل لو شئت لاتخذت شقوفا من الذهب

وهو رجل بخيل مقتر ، يفوق بخلاء الجاحظ حرصا وجمعا ومنعا أوصى ولده يوما وهو يتأهب للسفر : لا آمن عليك لصين : أحدهما الكرم والاخر القرم فاياك وإياهما ان الكرم أسرع في المال من السوس وأن القرم أشأم من البسوس ودعني من قولهم ان الله كريم : انها خدعة الصبي عن اللين . انه المال فلا تنفقن إلا من الربح .

الوصف :

للوصف في مقامات الهمذاني حظ عظيم يأتي في أثناء السرد . فثمت مقامات خصصها البديع للوصف خاصة وليس فيها من فنيات المقامة سوى الاطار والاسناد كالمقامة الخمرية والأسدية والحمدانية والابلسية ففي المقامة الحمدانية وصف مستفيض للخيل ومزاياه والمقامة الأسدية وصف كذلك لمغامرة طريفة تروي مهاجمة السبع لسيارة كان من بينهم عيسى ابن هشام فما كادوا ينجون منه وقد هلك فريق منهم حتى بلاههم الله بفارس أعمل فيهم سهامه .

قال: وأخذنا الطريق ننتهب مسافته ونستأصل شافته ولم تزل أسمية النجاد بتلك الجياد حتى صرنا كالعصى ورجعنا كالقسي ولاح لنا واد في سفح جبل ذي الـأ وأتل كالعذارى يسرحن الضفائر وينشرن الغدائر ومالت الهاجرة وربطنا الأفراس بالأمراس وملنا مع النعاس فما راعنا الآ صهيل الخيل ونظرت الى فرسي وقد طمع بعينييه وأرهف أذنيه ثم اضطربت الخيل فأرسلت الأبواب وقطعت الجبال وأخذت نحو الجبال وطار كل واحد منا إلى سلاحه فإذا السبع وقط طلع من غابه منقفا من اهابه مكشورا عن أنياه قد ملء صلفا وأنفا وقد حشي أنفا فقلنا خطيب ملّم وحادث مهم .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال زكي مبارك : « والقصة في جملتها فكاهة ولكن الوصف ظاهر فيها كل الظهور وفيها فقرات تعدّ من آيات الوصف بالحركة وعند تأمل ما انتهت إليه القصة نجد الغرض في غلبة التفاهة فكأن البديع ما كان يقصد غير هذه الأوصاف .

أسلوب المقامات :

إذا كان الهمذاني قد ابتدع فنّ المقامات في القرن الرابع فانه ليس هو الذي ابتدع السجع في اللغة العربية . فالسجع بعيد العهد له أصول مترامية في القدم . فقد جاء في خطب الجاهليين واحتلّ مكانا واضحا في آيات القرآن الكريم ولكنه لم يستخدّم لذاته ولم تستعمله العرب في القول ولا في الكتابة وجاء الهمذاني واستعمله وأكثر منه ولعل السبب في ذلك أن الكلام المسجوع أصبح سمة العصر والميزة الخاصة في الكتابة .

وسجع البديع يجري مجرى الطبع الأنيق لم يشتدَّ شدةً لتأدية وظيفته مرغما
فينحت نحنا ولكن فقراته جاءت طليقة تنم عن بدهاءة وقريحة فياضة .
والهمداني يستخدم كل أنواع السجع من المتطَرَّف الى المتوازي والمرصع .
لكنه لا يطغى حتى يقطع على المعاني نفسها ويعين سرها . فمن المرصع
قوله : « قَوْمٌ قَدْ أَخَذُوا بَيْنَ أَسْ مَخْضُودٍ وَوَرْدٍ مَنْضُودٍ وَدَنْ مَفْضُودٍ وَنَايٍ
وَعُودٍ » وقد تتجدد سجعانه حتى تبلغ .

فسجع البديع اذا قصير اجمالا ، فقراته تتألف من لفظتين الى خمس وقد
لا يستعمل السجع المتوسط أو الطويل .

ويلجأ الهمداني بالاضافة الى ذلك الى تنمية أسلوبه وترصيعه بأبيات من
الشعر ذائعة وأمثال سائرة وآيات رائعة . وقد يعتمد الى ادماج أشطر من
الأبيات الشعرية في ثنايا كلامه دون أن يشير الى ذكر أصحابها . قال في
المقامة الأهوازية : كنت في الأهواز في رقة « متى ترقَّ العين فيهم تسهل »
وقوله في المضيرية « والدهر حبلى ليس يدري ما يلد » .

وهو ان مال الى استعمال غريب الألفاظ ومهجور الكلام لا يعني أن
الكلمة كانت تجر الهمداني الى حيث يريد هي ولكنه ينزل اللفظة حيث يريد
هو أن يصلنا بالمعنى المعهود في رأسه فالفكرة تجر الكلمة في مرونة غير
منحرف عن الموضوع الذي يعالجه .

هل يمكن اعتبار المقامة قصة ؟

القصة في مفهومها العام قطعة منتزعة من واقع الحياة الاجتماعية تبرز
الأحداث اليومية لفرد من الأفراد داخل الأسرة من الأسرة أو مجموعة من
الناس داخل مجتمع من المجتمعات وتكون غالبا مبهدة يتمهد وتتو بعقدة تقوم
عليها حوادث، القصة فتوحد أجزاءها وتربط حوادثها وتبرز أشخاصها في
أحراج موافقهم ثم تسير في طريق الحل تدريجيا ثم تكون الخاتمة ... هذه
تقريبا مقومات القصة .

الرواية :

عيسى بن هشام هو رواية المقامات والكاشف لمغامرات أبي الفتح يفاجنه
في آخر كل مقامة كأنه سلاحه الذي لا يتخلى عنه .

أخو سفر جَوَاب أرض نقاذف به قلوأت فهو أشعث أغبر شارب في أرض الله ضارب في مناكبها لا يعرف ظعنه رسوا ولا تطمئن نفسه في مكان ويبدو أنه في سر من حياته لا يضطر الى مزاوله عمل يرتزق منه .

وعيسى بن هشام رجل مثقف مغرم بالكلمة الحلوة والشعر الجميل يهزه البيت من الشعر ويتسامر بنوادر الشعراء والأدباء . محب للاستطلاع يتقصى الأمور حتى يقف على جليتها . وهو رجل رقيق القلب يتأثر لمشاهدة الفقر والحاجة فيخف لمساعدة الفقير ولاغاثة المحتاج لكنه على سماحة نفسه يجاري أبا الفتح أحيانا في التخابث والتمايل وينقلب بطلا للمقامة يحتال على البسطاء والسذج من الاعراب . كما في المقامة البغدادية حيث تنال شبابه من سوادي غر . ينزل العاصمة بغداد فيدعي عيسى معرفته ويدعوه ضيفا عنده بأحدى النزل الضخمة ويتناولان حتى يمتلئان ثم يحتال على هذا الغر ويفلت ليتركه عرضة للاهانة وتكبد المصاريف الباهضة مرغما .

الخاتمة :

المقامة إذا نوع أدبي بليغ ظهر مع القرن الرابع على يد بديع الزمان الهمذاني غرضه التعليم وبيان المقدرة اللغوية والتصرف في فنون القول وموضوعه الرئيسي الكذبة وهو استجابة لميزة العصر يومذاك في الكتابة الأدبية لما طغى الاعتناء بالشكل والنقش في التزيين والتوشية والتنافس في البيان والمقامة تقوم أساسا على الكلام المسجوع أي المفقى من أولها حتى نهايتها بطلها . والكلام على مقامات الهمذاني أبو الفتح الأسكندري وراويتها عيسى بن هشام ويظهر ان هذا النوع من الأدب قد فتن القوم فتسارعوا اليه يقلدونه وينسجون على منواله فوضع الحريري والزمخشري والسيوطي وغيرهم مقامات على نمط مقامات الهمذاني وتواصل المد عبر القرون حتى مطلع القرن العشرين ففرى اليازجي والشدياق والطهطاوي والمويلحي ينتهجون نهج أسلافهم يقلدون وهم بأثارهم يقتدون وعلى أثرهم يهرعون .

المراجع :

- محمد رشدي حسن : أثر المقامة في نشأة القصة.

- أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية.

- فكتور الك : بديعات الزمان.



أَنْتِ الشَّعْرُ ..

للاستاذ نورالدين بن بلقاسم

لِعَيْنِي بَذَا الشَّاطِطِيءُ الْأَزْرَقُ
 فَلَاحَ لَنَا تَغْرُكُ الْمُشْرِقُ
 وَرُحْتُ أَنْخُنْ سِجَارَتِي
 وَقَلْبِي كَالْمَوْجِ إِذْ يَخْفِقُ
 وَمِزْتُ عَلَى الرَّمْلِ فِي حَبْرَةٍ
 وَنَفْسِي عَلَى نَارِيهَا تُخْرَقُ
 وَفِي بَاطِنِي لِلْهُيُوتِ قُوَّةُ
 بَوَادِرِيهَا لِأُورَى تَنْطِقُ
 وَفِي عَالَمِي لِلشَّيْءِ تَحْدِيدُ
 تَعَطَّرَ كَالْقَلْبِ ، بَلْ أَغْبِقُ
 فَعَيْنُكَ يَا جِلْوَتِي نُجْمَتَانِ
 يُطَالِعُنِي مِنْهُمَا الْمُطَّلِقُ
 وَوَجْهُكَ حَقْلٌ مِنَ الْجُلْدَانِ
 يَلُوحُ عَلَى عَرْشِهِ الرُّؤْسُ
 فَأَنْتِ سَوَالٌ عَلَى شَفَتِي
 لَذِيذٌ كَهَذَا الْمَدَى ؛ مُغْلِقُ
 يُجَمِّدُ فِي شَفَتِي الْكَلَامَ
 وَيُوهِمِي لِسَانِي فَلَا يَنْطِقُ
 فَلَوْلَاكِ مَا بَهَتْ فِي حَبْرَتِي
 وَلَا كُنْتُ فِي وَحْدَتِي أَغْرِقُ
 وَلَا وَقَفَ الْحُبُّ بَيْنِي أُمَامِي
 وَلَا جَاءَنِي الشَّعْرُ وَالْمَنْطِقُ

الثورة الصناعية والمدينة العربية أو التحضر التابع

بقلم : محمد الهادي الديدي

عرفت أوروبا بداية من القرن الثامن عشر ميلادي ثورة علمية واكتشافات ساعدت على ارساء ثورة صناعية غيرت ملامح أوروبا الغربية وبالتالي ملامح العالم .

ومن أهم التأثيرات لهذه الثورة تلك التي أثرت على البنية الاجتماعية عامة وعلى المدينة الأوروبية خاصة . فما هي تأثيرات الثورة الصناعية على المدينة الأوروبية وعلى الريف الأروبي ؟ وما هي تأثيراتها على المدينة العربية والريف العربي ؟

إن للثورة الصناعية بأوروبا الغربية تأثيرا كبيرا على الريف الأروبي وذلك عن طريق مكنتة الفلاحة أي انتقال الفلاحة من فلاحة يدوية عائلية تعتمد على الطرق والوسائل التقليدية الوسيطية إلى فلاحة عصرية تعتمد وتركز على الآلة والاسمدة والدورة الثلاثية . فدخلت الآلة الريف الأروبي وعوضت اليد العاملة الفلاحية خاصة في الضيعات الكبرى . وهكذا انطلقت الثورة الصناعية من المدينة إلى الريف لتؤثر تأثيرا مباشرا على البنية الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية . فانتقل بذلك الفلاح وخاصة العامل الفلاحي إلى عامل يستخدم الآلة أو إلى عاطل عن العمل أجبر على النزوح إلى المدينة هكذا فنزح سكان الارياف إلى المدن الكبرى والصغرى وهكذا بدأ التضخم الحضري . ومما ساعد على هذا التحول والتنقل السكك الحديدية والطرق التي ربطت الارياف بالمدن خاصة لتموين المدن إثر تضخمها من حيث عدد سكانها وإثر الانفجار الديمغرافي الذي شهدته أوروبا الغربية منذ بداية القرن الثامن عشر وتواصل في بعض البلدان الأوروبية حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وهكذا نستنتج أن للثورة الصناعية تأثيرا واضحا على تغيير الهيكلية الريفية وإعادة بنائها من جديد على شكل حضري . فإذا كانت الثورة الصناعية قد هدمت البنية الاجتماعية الريفية فإنها أعادت بناء

هذه البنية نظرا لما وفّرت من فرص للشغل خاصة عن طريق تشييدها لمراكز صناعية ومناطق استقطاب اقتصادية وذلك بما وفّرت من شبكة من الطرقات والسكك الحديدية ومصانع ومراكز مالية ومصارف وبورصة . فإن مثل الريف مركز تنفير فإن المدينة الأوروبية مثلت مركز استقطاب . فلم تقع هزات اجتماعية ولم تتفك المدينة الوافدين عليها بل وفّرت لهم الشغل القار وبالتالي المسكن فلم تظهر الاحياء القصديرية على النحو الذي ظهرت به في عالما العربي والعالم الثالث وفي المستعمرات في فترة القرن التاسع عشر والعشرين . ذلك أن الثورة الصناعية حركة اقتصادية واجتماعية داخلية .

أما في عالما العربي فإن الذي وقع وحدث هو العكس . في القرن الثامن عشر لم تظهر في عالما العربي الذي هو في الواقع جزء من العالم العثماني ثورة صناعية ولا تحولات اجتماعية كالتي وقعت في أوروبا ونفس الشيء في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وأثناء الفترة الاستعمارية بقي عالما العربي يعيش قرونه الوسطى رغم ما أدخله الاستعمار الغربي الفرنسي والانكليزي والاطالي من تأثيرات جلبها معه من أوروبا . فالفلاحة تقليدية معاشية والصناعة يدوية عائلية والريف مركز استقطاب اقتصادي وأكبر مركز تجمع للسكان .

لكن منذ العشرينات أصبح لوجود المستعمر تأثير كبير . فقد أدى توطین الكثير من المعمرين في الاراضي الخصبة وعلى طول الانهار إلى تغيير في نمط الانتاج الزراعي نظرا لدخول واستعمال مكثف للألة الصناعية الفلاحية . لقد كانت الارض تخدم قبل مجيء الاستعمار بطرق غير مباشرة عن طريق الخماسة مثلما هو الشأن في تونس . وهذه الطريقة التقليدية تتطلب بدا عاملة وافرة .

وبدخول المستعمر دخلت معه الآلة فعوّضت الانسان والعامل الفلاحي الذي تحول إما الى عامل عند المعمر أو الى عاطل عن العمل من هنا بدأ النزوح نحو المدن وخاصة نحو العواصم مثل تونس الجزائر - الدار البيضاء وبدأ عدد السكان الحضريين في التضخم على حساب عدد السكان الريفيين . فتضخمت المدينة العربية على غرار ما وقع للمدينة الأوروبية فيما يخص عدد السكان فقط . لكن هل المظاهر الحضرية واحدة أم مختلفة ؟ إن النازحين من الريف العربي الى المدينة مكروهون على ذلك ، ذلك أن تحولهم الى المدينة سوف لن يحل لهم مشكلة العمل والارتزاق وبالتالي فرصة

العثور على مسكن . فإذا كان الريف عامل طرد وتنفير نظرا لغياب فرص العمل به فإن المدينة غير قادرة على استيعاب كل الوافدين عليها . فهي وإن عملت على استقبال القليل منهم فإنها ستبقى الكثير .

صحيح أن المدينة العربية بصفة عامة في كل المستعمرات الغربية قد عرفت حركة تنشيط اقتصادي بفضل الحركة التجارية خاصة بالموانئ مناطق الربط الحساسة بين المستعمر والمستعمر لكن هذه الحركة التجارية غير مؤهلة لامتصاص بطالة الوافدين عليها . فإن شغلت البعض كعمال رصيف مثلا فإنها عجزت عن إيجاد الشغل لكل الريفيين .

فتضخمت البطالة بالموازاة مع تضخم عدد النازحين . وهكذا نستنتج أن الثورة الصناعية التي لم تكن نابعة من حركة وديناميكية داخلية مرتبطة بتطورات اقتصادية واجتماعية بل هي عملية مسلطة من فوق لم تكن لها نفس التأثيرات التي حدثت بأوروبا . فنقول :

(1) ان الثورة الصناعية حطمت البنية الاجتماعية في كل من أوروبا وعالمنا العربي على حد سواء .

(2) انها هدمت الريف وبنته على شكل حضري في أوروبا بينما هدمت في عالمنا العربي الهيكلية الريفية اقتصاديا واجتماعيا ولكنها لم تبني بناء حضريا . إذ بقيت المدينة العربية حل الوافدين عليها فتضخمت البطالة وبالتالي توالى ظهور الاحياء القصديرية علامة التبعية والتفكير والتأخر الاجتماعي والاقتصادي .

فظهر التناقض بين الاحياء الراقية التابعة للمعمرين المستوطنين والاعيان المحليين والاحياء القصديرية التي تفتقر لمقومات الحياة . فكان التحضر «المديني» الغربي نابع من الداخل بينما تحضرنا نحن العرب تابع فسماء علماء الاجتماع بـ«التحضر التابع» (L'urbanisme dépendant) .

كعبة الامصار

شعر : الازهر النفطي

جنت أهدي العراق ما حملتني
باسقات الجريد من أشعار
وارفات الظلال بالشعر حبلني
في علاها مستودع الاسرار
انشدتني أشعارها في شموخ
حملتني أشواقها للديار
حدتني عن أهلنا بالعراق
عن لواء المنصور والابرار
فاتحون بالصدق في كل صنعة
في خضم الانواء والاوزار
واصطفوني قرطاج بين الرفاق
لاغني أهزوجة الاكبار
لكرام العراق ندعو بنصر
سرمدي الاحقاب والاطوار
قيروان الاسلام تلقى نشيدا
موصلي الالحان والاورار
فاعتقت الموال والكرخ حبلني
بانشاء الاقداح والسمار

* هذه القصيدة ألّفها الشاعر في مهرجان المربد الأخير بالعراق

واضطجبت السمراء بين الضلوع
في قصيد لكعبة الامصار
قد دعانا لمربد الشعر قومي
فاستجبنا في نخوة وافتخار
غادة الشعر والكتاب تجلت
في خريز الابداع والاشعار
سارباها عن حمورابي ومعن
والرشيد الكريم والمغوار
عن سجايا الابطال بالفاؤ وتزهو
في مدار الرشاش والاختار
من وراء صدام والقذف يعلو
من إمام الاجرام والاشرار
كيف نسلو بغداد أرض المعالي
ورباط الامجاد والانوار
صولجان مستطاب للحياة
كلها غناية الافدار
تنشر السلم والوفاق وتلهو
بانتشار الاسلام في الاقطار
مجدوها ففي العراق يراع
ودوة من معدن الابرار

الدين ضروري لحياة الانسان

بقلم : عبد الكريم العطاوي

تتفق آراء جمهرة العلماء والمفكرين القدامى والمحدثين حول أهمية الدين وفعاليتيه ، في كونه علاجاً نفسياً ، ووقاية صحية وملجأً أخيراً ، لمن هامت به نفسه ، بحثاً عن المنقذين من الأوهام والضلالات والأخطار والمآسي فلن يجد في غيره - من الضوابط الخلقية والقانونية والعلمية والعقلية والمذهبية الوضعية شفاءً لنفسه وإنقاذاً من مأزقه .

ولقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً ، مما يدل على أنه من عند الله ، وإلا فمن أنبأ الرجل الأمي محمد بهذه الحقيقة التي عبرت عنها هذه الآيات القرآنية : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ابْنِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شهيدنا » . الأعراف / 172 . وإذا ما بحثنا عن مفهوم هذه الآيات ، فإننا نفهم أن الله أودع في طبيعة النفوس البشرية نزعة الإيمان العميق ، وإن كابر في هذه الحقيقة بعض المكابرين المعاندين .

وإلى هذا أشار الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة ... فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه الطبراني والبيهقي .

وإذا ما رجعنا إلى ذات الانسان مختبرين نفسيته المنطوية داخله ، نجده في حيرة متواصلة تدفعه إلى الاعتراف - بعد بحث طويل شاق بوجود قوة عظمى مهيمنة مدبرة ، يمتد سلطانها دون قيود أو حدود ، بحيث تشملها كما تشمل الأرض والسموات . يلجأ إليها ملتئماً المعونة والتأييد ، والحماية من الشرور والآثام والأخطار المحيطة به ، المتجهة إليه من حيث يدري أو لا يدري - وهذا هو جوهر العبادة والتقديس الذي يرسى في كيانه السعادة الممكنة في الدنيا والآخرة .

ولو جردناه من هذه العقيدة الدينية التي تمنحه العزاء عما يقاسيه من آلام ، لوضعناه في عداد الحيوانات العجماء التي لا هم لها الا الاكل . والشرب والتناسل .

وحياة الانسان تختلف عن هذا النوع من الحيوان ، إذ هي تنطوي على تطلعات فطرية كامنة فيه من أهمها البحث عن وجوده ووجود هذا العالم من حوله ، وعن المخرج الوحيد من أزمانه النفسية والاجتماعية التي يحياها .

لقد اهتمدى جمع من الفلاسفة - بعد نقاش طويل - إلى الايمان بوجود خالق للكون هو الله .

فها هو كانت Kant . أكبر فلاسفة العصر الحديث يقول : « إنه لن يستطيع الاستجابة للقوانين الاخلاقية بسبب المصير إلى ظلام العدم اللانهائي ، إذا أراد أن يتجنب هذا ، وجب عليه الايمان بوجود خالق للكون هو الله ، كما يقرر أنه إذا كان للوجود الانساني قيمة ، فلا بد أن يكون للعالم غاية . ولا بد من وجود سيد أعلى يشرع - من الشرائع ذات الاهداف المثالية - ما يستلزم به تحقيق الخير الأقصى تحت رعايته وسيطرته على الكون كله . كذلك يقرر في بحث آخر قصور الارادة الانسانية عن تحقيق القانون الخلقي ، وأن الله - وحده - هو الذي تتحقق فيه الصلات المطلقة بين ارادة الالهية والقانون الخلقي ، إذ هو الذي يحدد المنافع ويوضح الاضرار ، فكم من عمل ظاهره النفع أو ظاهره الشر ولكنه ينتج عكس ما تصوّرناه ، قال تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » البقرة / 216 .

وفي هذا يقول ديورانت : إن الشك يبعث على التوقف والضيق والايمان يدفع إلى البسط ، ويحسن الشهية والدورة الدموية . والواقع إن كل متشكك يشكو معدته ، إن الاعتقاد امر طبيعي وهو ينشأ مباشرة من الحاجات الفطرية والعاطفية من التعطس إلى حفظ الذات والثواب والصحة والأمن ، بل والخضوع ، وفي بعض الأحيان يغمرنا الشكر على النعمة حتى نود أن يكون لروح العالم اذان يسمع بها آيات شكرنا .

ويقول نيتشه : « أن الطريقة التي تنقلب بها المصائب . حظوظا حسنة ، أغرته بالاعتقاد في الله - إن الدين لم ينزع عن الموت ما فيه من ألم فقط بل

ملأ الحياة جمالاً بالطقوس والبناء والنحت ، والنقش والدراما .. لقد بدل مأساة الحياة الحقيرة إلى رحلة شاعرية يحج فيها المرء إلى نهاية شريفة وبغير الدين . تصبح الحياة سخيقة » .

فالدين يؤدي إلى استقرار الأسرة ثم إلى استقرار الدولة تبعاً لذلك ، وإن ضعف الوازع الديني يؤدي إلى انهيار خلقي يبدو واضحاً في الانحلال الخلقي المتفشي الآن بين المجتمعات الحديثة المنحرفة عن دينها المنغمسة في الفقدانة الحسية والخلقية مما جعل توماس هاردي يتساءل عن الكآبة المزمنة التي أخذت في الاستيلاء على الشعوب المتحضرة مع زوال اعتقادها في سلطة خيرة » يقصد بها سلطة الدين وسن هنا ، كانت مهمة علم الأخلاق قاصرة قصوراً تاماً عن أداء دور الدين : سواء بين الأفراد أو الجماعات ويمتاز الدين ، بأنه يحدد الفضائل والرذائل تحديداً دقيقاً ثابتاً ، لا مجال فيه للبس ولا إبهام » .

فالدين يقي أتباعه من الوقوع في الشبهات ، ويوضح لهم الأمور توضيحاً دقيقاً ، لأنه شعائر بيّنة : تأمرهم بأوامر وتنهاهم عن محارم واضحة تنطوي على مضار لا يعلمها الفكر الانساني المحدود .

كما أنه يبدد الاحزان ، ويسوق العزاء ، ويبعث الأمل ويبسر مشكلات الحياة ، ويبعث في النفوس الثقة والأطمئنان والأمان . ولما كان القلق النفسي يدمر الحياة ، ويمزق النفوس ، ويجلب الأمراض النفسية والجسمية ، فإن علاجه الوحيد ، هو بث الاطمئنان في النفوس وإلى هذا أشار العالم النفساني الشهير : « هنري لنك » الذي أجري - هو ومعاونوه - عشرات الآلاف من التجارب النفسية على نحو عشرة الاف شخص ، تلبية لطلب مؤسسة كاونيجي ، التي وضعت بين يديه مائتي ألف دولار وقد خرج من تجاربه بهذه النتيجة : « سجلت تقريراً شخصياً شاملاً لكل فرد منهم . وهنا بدأ إدراكي لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الانسان ووجدت من نفسي استعداداً لمطاهاة تجاربي السابقة على مرضاي ، بالنتائج الباهرة التي أنت بها تلك الاختبارات التي توليت الاشراف عليها وقد استخلصت من هذه الاختبارات نتيجة هامة ولو أنها لم تنشر في التقرير النهائي ، وهذه النتيجة هي أن كل من يعتنق ديناً أو يتردد على دار للعبادة ، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له ، أو لا يزال أية عبادة .

ليس هذا مصداقاً لما قرره القرآن الكريم . منذ أربعة عشر قرناً ، حيث يقول الله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » الرعد/ 82 . فأنت تلاحظ ان الاسلام يسن ربط العلاقة الوثيقة بين المؤمنين وخالقهم بالذكر والتقرب إليه ابتغاء مرفاته وغفرانه قال تعالى : « فاذكروني أذكركم » البقرة 152 . وقد بين الحديث الشريف هذا الذكر والتقرب حيث يقول صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن الله تعالى : « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » رواه الشيخان .

وفي حديث قدسي آخر إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة » رواه البخاري .

والمسلم يقف أمام ربه مقيماً الصلاة مناجياً له ، والله سبحانه يصلي هو وملأنته على عباده قال تعالى : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً » الأحزاب / 43 . مما يدل على أن الله راض عنهم وهم عنه راضون (رضي الله عنهم ورضوا عنه) التوبة/ 100 - إذ أن العلاقة الكائنة بين المؤمنين وخالقهم متينة فتنبئ عن إيمان صادق من قبل المخلوقين ، وعن رحمت من لدن الله يغدقها على عباده المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولو تعرضوا إلى مصائب في حياتهم لا يحزنون لأنهم يعتقدون أن لا رد لقضاء الله وقدره ، وأن ذلك من قبل الاختبار لنفسياتهم ، وأن لكل ضيق فرجاً ، وأن الله مع الصابرين وإن العاقبة للمتقين قال النبي ﷺ : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك » رواه الترمذي وأحمد ، وقال الله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه » الطلاق / 2-3 فالؤمن المخلص لا يتطرق إليه الخوف أو الحزن ، لأن قلبه كان يفيض بالسكينة والأمان والاطمئنان فيحيا راضياً عن ربه مرضياً عنه قال تعالى : « يا أيها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية » الفجر / 27 و 28 .

بهذه الحقائق المبرورة من النصوص الدينية الدالة على أن الإنسان في حياته ، ينشد الأمان والسكينة والاطمئنان في الدنيا والآخرة ، ولن يعثر على تفسير- شاف لنفسه إلا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تبين مهمة الإنسان في الدنيا باعتباره خليفة الله في الأرض عليه من الواجبات وله من الحقوق ، ينبغي عليه أن يؤديها بأمان حتى يحقق الأمانة التي كلف بها على أحسن الوجوه من قبل ربه ، وفي هذا بلاغ لأتباع المذهب المادي الذين يسخرون من وجود حياة أخرى للإنسان ويرونها وهما من الأوهام ، يخدع به الأمراء والقساوسة الغالبية العظمى من الشعوب ليقتنوا بما هم فيه من فقر وشقاء . وليركوا نعيم الدنيا للقساوسة والأمراء والأغنياء . ولهذا هتفوا بقوله ماركس : الدين أفيون الشعوب وإذا كانت المسيحية تجعل الفقر والزهدي في الطيبات مثلاً أعلى للمسيحيين ، فإن الاسلام يحض على الضرب في مناكب الأرض والسعي في سبيل الرزق والتمتع بطيبات الحياة دون اسراف أو كبرياء ، وينكر على من حرم الزينة ، ودعا إلى التقشف والحرمان ، قال تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » الاعراف / 32 وقد أخبر الله عباده بأنه سخر لهم كل ما في الأرض من سهول ووديان وبحار ومناجم (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) البقرة / 29 - بهذا امتاز الإسلام على غيره من الديانات ، حيث وازن بين الروح والمادة ، وبين الواقعية والمثالية ، وبين الدنيا والآخرة (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) البقرة / 143 .

وإذا كان بعض من الفلاسفة ، يذهبون إلى أن القانون يغني عن الدين ، لأن عقابه سريع لا ينتظر بعثاً ولا نشوراً ، ولأن عامة الناس تخشى العقاب الواقعي العاجل ، ولا تعير بالأل للعتاب الآجل ، وما دامت عين القانون ساهرة قوية ، فإن المجتمع يستطيع أن يعيش في أمن وسلام دون حاجة إلى دين يحميه ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة : (كلاً بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة) القيامة / 21.20 لكن هذا الزعم الباطل ، سرعان ما تبده هذه الحقائق التالية :

(1) ان القانون لا يعاقب إلا على ما يظهر ، ويؤيده الواقع ، إلا أن هؤلاء المجرمين - بما لهم من أساليب التمويه والخداع والارهاب والرشاوي - ينفلتون من يد القانون ، حيث لا يشهد عليهم أحد خشية شرهم أو نيل عطائهم ، ولكن الله المطلع على الضمائر لا تخفاه خافية ، ولا يفلت من عقابه المجرمون قال

تعالى : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله (البقرة // 28 .
(2) ان القانون يعاقب ولكنه لا يكافئ وهذا نقص يتولد عنه مرض اجتماعي يدعى النفاق ، حيث أن كثيرا من الناس يخشى العقوبة ، فيبتعد عنها ، وتجذبه التوبة فيتقرب منها . والله سبحانه وتعالى يثيب الطائعين ويعاقب المفسدين (إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم) الانعام / 156 .

(3) ان القانون لا يعاقب على جرائم كبيرة مثل الكذب والنفاق وأكل الربا ، والبخل والجشع وكنز الأموال ، ولكن الله يوعدها بالعقاب الشديد لأنها جرائم تلحق أشد الضرر بالأفراد والجماعات .

(4) إن مواد القانون قد تكون ظالمة ، وقد تكون قاصرة عندما تحمي طائفة وتعتدي على أخرى بسبب العصبية المذهبية والعنصرية الحيشية في كثير من الدول . وهي مع هذا غير ثابتة ، تتغير من جيل إلى جيل ، ومن مكان إلى مكان ، ولكن الشعائر الدينية ثابتة مستقرة بما تقرره من فضائل وما تحظره من رذائل ، وهي قائمة على العدالة المطلقة والموازين القسط (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة / 7 ، 8 .

(5) إن القانون يمنح الحاكم نفوذا مطلقا ، مع أنه يفيض إلى الشعب ، محدود السلطة والعمر والمعرفة ، محدود الزمان والمكان - أما الدين فيرد الأمور كلها إلى حاكم عادل مطلق السلطان لا يتبدل زमान ولا مكان ، ولا تخفى عليه خافية ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، هذا الإله وسعت رحمته كل شيء ، اذ يشمل عباداه بانعامه واحسانه ، ويغمرهم بعطفه وبره وحنانه وفضله وكرمه قال تعالى : « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه / 50 وقال : (غافر الذنب وقابل التوب) غافر / 3 .

من هنا ندرك أن حاكم الدولة ، قد يجمال ويحابي ، وقد يتحايَل ويتعصب ، ولكن الله سبحانه لا يجمال ولا يحابي ، ولا يتحامل ولا يتعصب قال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » الأنبياء / 47 .

وحاكم الدولة قد يحتجب عن شعبه وراء الاسوار داخل نطاق الحراس الأقوياء ، ولكن الله قريب من عباده ، يلبي دعوة من دعاه باخلاص وإيمان ، فلا يحتاج المؤمن في اتصاله بربه إلى شفيع أو وسيط قال تعالى : « وقال ربكم أدعوني أستجب لكم » غافر/60

الخاتمة

ولهذا كان الدين ضروريا لحياة الانسان ، لما يقدمه اليه من حقائق سمرمية كالايمان بواجب الوجود ، والاعتراف بقضاء الله وقدره ، والالتجاء اليه عند الشدة انقاء من الوقوع في الشبهات كالمحارم ، وتسليية لنفسه من القلق النفساني اعترافا بعظمته اللانهائية ، وانصياعا لتلك العلاقة المتينة بين الخالق والمخلوق والتي - إن دلت على شيء فإنما تدل على قوة الايمان من العبد تجاه خالقه . فلا الاخلاق ولا القوانين مغنية عن الدين في فهم كنه الحقائق وتفسيرها كما ينبغي ، لأنها ابتكارات بشرية محدودة بحدود زمانية ومكانية لا تستطيع ان تدرك حقائق الاشياء البعيدة. اذ تقف حيث توصل التفسيرات الدينية الصحيحة مسيرتها الموفقة المعترف بها من قبل المفكرين الباحثين قديما وحديثا . اخص بالذكر ما قرره البعض منهم:

(1) العالم النفسي «هنري لذك» : «بعد الآف التجارب - من أنه :» لا يوجد بديل كامل يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخلقى الالهي في قلوب الناس».

(2) مالبراتش : انه ما من شيء إذا تأملنا ، كما ينبغي ، إلا ردنا إلى الله وحينما نجح السوفييات في اطلاق مركبة الفضاء التي حملت جاجارين ، قال العالم السوفيياتي المشرف على ابحاث الفضاء : «إننا كلما أمعنا في استكشاف مجاهل الكون - ثبت لنا أن نظامه الرائع - في دفته - يجري وفق قوانين تبلغ في كثرتها واختلاطها ودقتها حدًا يستحيل معه أن تكون قد وجدت بشكل جزافي ، أو لعبت فيه الصدفة دورها ، بل لا بد من أن يكون قد خلق كل هذا ، منظم ماهر ؟! فهو يعلن هذا ، على الرغم من سيطرة المادية الالحادية في روسيا سيطرة ترعاها الدولة ويكفلها القانون .

(3) الدكتور ولسن الرئيس الأسبق للولايات المتحدة : قد أهاب بالشعب الامريكي أن يعود إلى الدين قبل فوات الأوان قائلا : « إن حضارتنا إن لم تتقذ بالمعنويات - فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديته ، وإنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مساهما . وذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا ، ومنظماتنا السياسية وأصحاب رؤوس اموالنا ، وكل فرد خائف من الله ، محب لبلده .

4) فولتير الملحد الذي شن حرباً عنيفة على الدين ، وبخاصة على المسيحية يتراجع مرتاعاً قائلاً : « اذا لم يكن الله موجوداً فينبغي أن نخترعه » .

5) المارشال مونتميري القائد العظيم الذي غير مجرى الحرب العالمية الثانية : قد أعلن أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى ... وإن خطر الانحطاط الخلقي في أفراد الجيش ، أعظم من خطر العدو ، ولذلك لا نستطيع أن ننصر في معركة ، إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء .

المنظمة القومية للطفولة التونسية المصانف والجولان

المكتب الجهوي سليانة

ARCHIVE

<http://Archive.tunisie.com>

- رحلات الى داخل الجمهورية
- رحلات الى الخارج لفائدة الاطارات واحباء المنظمة
- مصانف للاطفال داخل الجمهورية
- مصانف للاطفال خارج الجمهورية

العمر من 7 الى 14 سنة

امتيازات خاصة للمتمتعين بالضمان الاجتماعي

المقر : شارع الجمهورية، سليانة الهاتف : 70.150 (08)



الرَّبِيعُ الْبَاكِرُ ...

للشاعر : الهادي تيمان

بَاكِزُ رَبِيعِكَ لَيْسَ الْخَالُ بِالدُّونِ
وَأَدْخُلْ لَتُونِسَ مِنْ بَابٍ لِسَعْدُونِ
وَأَجْعَلْ رَبِيعَكَ أَغْيَاذَا مُنْعَمَةً
وَتُونِسُ النُّجْدُ فِي عِزٍّ وَتَمَكِّيْنِ
دُخُولُكَ الْبَابِ يُعْطِي الرُّوحَ نَشْوَتَهَا
فَأَشْرِبْ مِنَ الْقُشَّةِ الْخَبْرَى بِتَقْنِيْنِ
يَا دَاخِلَ الْبَابِ مَرَحَى قَدْ رَزَقْتَ مَنَى
فَأَجْعَلْ مُنَاكَ رُؤَى تُجَلَّى لِمَعْرُونِ
الْحُزْنَ يَهْرَبُ مِنْ نُورِ الرَّبِيعِ ضُحَى
وَالنُّورُ يَسْمُو بِأَطْيَافِ الْأَفَانِيْنِ
بَاكِزُ رَبِيعِكَ وَاشْرَبْ نَخْبَ مَلَحَمَةٍ
قَدْ نَعَّمْتُمَا أَهَازِيْجُ الْأَسَاطِيْنِ
أَنْعَمَ بِهَا نَعْمًا يَخْدُو بِتَجْرِبَةٍ
وَلِلتَّجَارِبِ أَصْدَاءُ الْمَيَادِيْنِ
يَا تُونِسَ الْأَنْسَ تَارِيخًا لِمَلَحَمَةٍ
مِنْ عَهْدِ أَشْوَاقِهَا الْبِكْرِ الْمَيَامِيْنِ

وَالْيَوْمَ تَمَتْ بِهَا الْأَفْرَاحُ فِي نَسَقٍ
مِنَ الْعَذُوبَةِ فِي أَعْلَى الْمَوَازِينِ
بَاكِرُ رَبِيعِكَ وَأَغْنَمُ صَفْوِ خُضْرَتِهِ
وَاشْرَبَ مِنَ الْفَجْرِ أَثْدَاءَ الْبَسَاتِينِ
بَابُ سُوَيْقٍ تَأْمُلُ فِي مَبَاهِجِهِ
تَشْرَبُ هَنِيئًا عَلَى نَخْبِ الْأَفَانِينِ
وَعِنْدَ مَخْرَرِ سَلَمٍ فِي مَرَابِعِهِ
مِنَ الثَّرَاثِ سَلِيلُ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ
وَالْقَائِدُ الْقَدْ أَوْلَى سَاحِ تَرْبَتِهِ
بِمَا يُشِيرُفُ خَضِرَاءَ الْمَقَاتِينِ
وَعِنْدَ بَابِ مَنَارٍ حَيْثُ شَيْخُ جَبَا
هَنَّاكَ يَجْلِسُ كِبَادِي الْأَمْسِ وَالْجِينِ
ذِكْرَاهُ مَا فَتِنْتُ تَحِيَّيَ مَذَارِكُنَا
فِي الشُّعْرِ فِي النَّفْرِ فِي أَسْمَى رِيَاجِينِ
قَدْ كَانَ يَجْلِسُ فِي مَقْعَدِهَا مُنْذُهَا
يُعْطِي الْمُرِيدِينَ أَمَالَ الْمُرِيدِينَ
بَابُ الْجَدِيدِ كَذَكْرَى مَا يُرْغِزُهَا
نَزَالَ يَتَمَخَّخُ فِي أَعْلَى مَوَازِينِ
يَا تُونِسُ الْإِنْسُ كَمْ يَخْلُو بِسَاخِيهِ
نُورُ الضَّحَى حَيْثُ أَخْيَاهُ وَيُحْيِينِي
وَاصِلُ طَرِيقِكَ بَابُ الْبَحْرِ فِي شَمَمٍ
يَقُولُ تُونِسُ أَنْسِي فِي تَلَاجِينِي
أَمَّا الْحَبِيبُ حَبِيبُ الشَّعْبِ سَيِّدُهُ
أَضَافَ تُونِسُ آخَرَى بَحْرَ بَحْرَيْنِ
لَهْمَةً فِي مَجَالِيهَا وَرَوْنَقَهَا
فَاشْرَبَ هَنِيئًا فَلَيْسَ الْوَقْتُ بِالْدُونِ

ذكرياتي مع محمد كامل التونسي

بقلم: البشير التلمودي

ان الحديث عن شخصية الاستاذ محمد كامل التونسي - كما عرف في دمشق - او محمد الكامل بن عمار الحمادي كما يعرف في بلده تونس اذ هو أصيل سليانة حيث ولد بقرية من قرأها هي - قرية سيدي حمادة - ... ليس بالحديث الذي يمكن ان يعرف بهذه الشخصية وابعادها وجوانبها المتعددة - في مقال واحد أو في مقالات - فقد يتطلب كتابا يؤلف لهذا الغرض لالقاء أضواء كاشفة على مختلف جوانب تلك الشخصية. ترجمة وتقييما لكفاحه العلمي والسياسي - والتربوي المتواصل بين تونس - وسوريا، والذي استغرق حياته كلها.

لن تجد في حديثي هذا تفصيلا لجانب من تلك الجوانب - لا فيما يتصل بمولده في قرية سيدي حمادة - ولا حياته الدراسية في جامع الزيتونة ولا بهجرته الى دمشق التي بقي فيها ما يزيد عن الثلاثين سنة وشارك في مقاومة الاستعمار الفرنسي هناك وكان قد تركه جافا هنا على بلده ولا عن حياته في الشرق واعماله الفكرية وصلاته المثينة بالاجيال التي تخرجت عليه ، ولا عودته الى تونس في أواخر الاربعينات . بقصد الاستقرار في بلده ورفض فرنسا يومئذ لذلك وقرارها بطرده . والخروج من البلاد في اجل قصير حددته له ... ولا عن اعماله وعلاقاته في تونس - بعد عودته النهائية اثر الاستقلال - كل ذلك لن اتحدث عنه في هذا المقال . وانما ، سأكتفي هنا برسم ملامح بسيطة في شخصيته المحببة المرحّة وربما يتراءى من خلال ذلك اسلوبه التربوي في معاملة تلاميذه وفي تحبيب الاستاذ للتلاميذ - باعتبار ان هذا انجح اساس لتحقيق الغايات التربوية لان التلميذ اذا احب اساتذته شغف بما يقدمون من معلومات - وهنا يكمن سر النجاح ومن هذا الجانب ينطلق مقالتي :

قضيت مع الاستاذ الفقيه محمد كامل التونسي ، قرابة الاربعة اعوام ، فكان بالنسبة لي ولجميع الطلبة ، مثالا للاستاذ الحق ، المتواضع ، والصديق الموجه المخلص .

لازلت اذكر ذلك اليوم السعيد الذي التقيت فيه ، بالاستاذ كامل التونسي ، كان ذلك عندما دخل الفقيد ، ليدرس مادة الادب العربي ، في ثانوية ابن شرف الزيتونية ، وقد كان من حسن الصدف انذاك ان سمح لي الحظ السعيد ، بان أكون من جملة من سيكرعون من منبع هذا الاستاذ الفذ ، وسررت كثيرا ، لانني سادرس لا على يد استاذ بينه وبين الطلبة ذلك الفارق الشاسع ، وذلك التنافر الظاهر ، بل على يد اديب صديق ، بينه وبين الطلبة مودة حب واحترام متبادل . وكانت نفوس الطلبة كذلك ، مشتاقة الى رؤية هذا السيد النبيل ، وهذا الاستاذ الصديق . وما ان جاء اليوم ودقت ساعة دخول الاستاذ التونسي علينا لالقاء الدرس ، حتى اشرنبت الاعناق نحو الباب ، وتلايلات العيون بشرا ، وامتلأت النفوس غبطة ... بعد دقائق سيكون الاستاذ كامل هنا ! ... وفجأة سمعنا عدة دقائق خفيفة، انفتح الباب على اثرها في هدوء ، وبزغ من وراءه وجه الفقيد، استاذنا الجديد ، الذي طالما تمنينا الاجتماع به والتحدث معه ، لما يتصف به من حب للطلبة فاق كل الحب ، واخلاص فاق كل الاخلاص ، وتواضع فاق كل التواضع ، ودخل الاستاذ محمد كامل التونسي - رحمه الله - القسم في خطى بطيئة ، ثم التفت اليها وابتهامة بريئة تتراقص على ثغره قائلا :

ARCHIVE

- « صباح الخير ... اهل حالكم يا اولاد ؟ ... »

وصحنا في صوته واحدا وفي لهجة ملؤها الابتهاج الحار :

- « صباح الخير سيدي .. عسالة سيدي ... سيدي مرحبا... » !

ولكنه ما ان سمع كلمة «سيدي» تتكرر على السنة الطلبة ، حتى صاح في لهجته المازحة المؤدية قائلا : « الله يسود وجوهكم » !.

قال ذلك وجلس امام المكتب ، بينما استغرق الطلاب في ضحك متواصل . وزاد الاستاذ كامل التونسي فقال :

- « اسمعوا يا أبنائي ... عليكم من الآن فصاعدا ان لا تعتبروني شخصا غريبا عنكم ، وان لا تنادوني بـ « سيدي » لانني لست سيد احد ، ولا انتم بعيد لي . فكل واحد منا سيد نفسه . فليحترم كل منا شخصيته ، وليرفع نفسه عن كل الشوائب التي من شأنها ان تحط من كرامته ، ومن قيمته في الحياة . لهذا ، ارجو ان لا تخاطبوني بمثل هاته الكلمة «السخيفة» ونادوني من الآن بالاستاذ « فانا ما نحب كلمة سيدي ... ما نحب نسمعها ابدا » مفهوم ؟

- اجل يا استاذ .

هكذا كان الاستاذ محمد كامل التونسي ، وهكذا كانت نفسيته ونظرته ازاء ابنائه الطلبة - أينما كانوا - تعلقا بالاستاذ محمد كامل التونسي وحبا فيه ، هو ما يتصف به الاستاذ من فكاة في الحديث، ودقة الملاحظة في التعبير والكلام. ومن جملة ما حدثني الاستاذ - رحمه الله - انه كان يتجول ذات مرة في شوارع «حلب» وكان راجلا، اذ بسيارة فخمة تقف بجواره فجأة ، وينزل منها احد تلاميذه القدامى ، وكان محاميا ، ومعه زوجته ، فعرض الطالب على استاذ الصعود معه في السيارة لجولة قصيرة في شوارع المدينة ... ولكن الاستاذ كامل التونسي ، رفع يده وهوى بها على تلميذه يضربه ويضربه في شيء من الفكاة قائلا :

- « اخرس ... يا وقح ... يا احمق ... يا حمار ... انا افضل ان اسير راجلا ولا راكبا مع حمار مثلك » ! قال ذلك وصفه مرة اخرى . فلما رأت المرأة ما فعل الاستاذ كامل التونسي بزوجها « المحامي » التفتت متعجبة نحو زوجها تريد قول شيء ... ولكن الزوج ابتسم في وجهها وقال في هدوء : « والله ان ضربات من يد استاذي محمد كامل التونسي وتوبيخات من فمه ، لهي احلى واحلى بكثير من اغاني ام كلثوم او عبد الوهاب » قال ذلك وارتمى على الاستاذ يقبله ويقبله ويقبله ... عند ذلك قبل الاستاذ الجولة مع تلميذه المحامي وصعد واياه السيارة والدموع تملأ عينيه :
<http://www.alukah.net>

انظر قارئ العزيز الى اية درجة يصل حب الطلبة لهذا الانسان المهاجر ، الغريب عن ارض الوطن وفي اية مكانة هم - الطلبة - يضعونه من قلوبهم الملتهبة حبا واخلاصا للفقيد الراحل .

وهذا برهان ثان اسوقه اليك ، حتى تلمس جيدا اخلاص اولئك الطلبة وصدق مشاعرهم نحو الاستاذ محمد كامل التونسي الذي كانوا يعدونه اخا وصديقا واستادا في نفس الوقت .

حدثني الاستاذ التونسي مرة فقال :

«كان ذلك عام 1946 ، ذكرى رجوعي من الشرق الى أرض الوطن فقد شاعت في ذلك الوقت اشاعات مفادها ان يد المنون قد اختطفني ، وما ان سارت هاته الاشاعة في الاوساط الادبية والعلمية ، وانتقلت من انن الى انن ،

ومن حي الى حي ، ومن مدينة الى مدينة ، ومن قطر الى قطر ، حتى تهاطلت على عائلتي الاف الرسائل الباكية ، يطلب اصحابها ، البعض من اخباري ، وهل انا حقاً قد مت ام لا ازال على قيد الحياة ؟ وفعلًا اطلعت - والدموع الحرة تملأ عيني - على جميع الرسائل . ثم اخذت ارد على ابنائي الطلبة وجميع اخواني ، واطمننهم على حالتي الصحية ، واعدهم بالعودة اليهم في الفرصة السانحة ، لتعكر الحالة السياسية في الوطن . وبعد قلائل واضطرابات واحداث دامية - تشردت وسجنت فيها عدة مرات ، تمكنت بعد جهد وعسر من دخول سوريا من جديد ، حيث التقيت بأبنائي واخواني الذين قدموا من كل مكان لاستقبالي ، فاقاموا لي الحفلات والمحاضرات في جو ملؤه الحب والاعجاب . بينما لا تسمع في شوارع حلب ودمشق بل سوريا بأسرها ، سوى عبارات «ما مات كامل التونسي ... كامل التونسي حي ... كامل التونسي رجع » !

ومن جملة ما يتسم به الاستاذ محمد كامل التونسي - رحمه الله - زيادة على طبعه الجميل ، وخلقه النبيل ، وعزمته الصادقة ، حبه للدين والعلم والادب . ففتراه في جل اجتماعاته مع الطلبة ، يبسط اراءه ونظرياته ، ممزوجة بالحجة والبرهان وفي اسلوب جذاب رائع ، وطريقة ادبية راقية . ولربما كان هذا سبب نجاحه في ادخال بعض من المسيحيين الى الدين الاسلامي .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ومما اذكر ان الاستاذ محمد كامل - رحمه الله - كان يلقي علينا مرة - درسا في اداب الاكل وكيف ومتى واين تكون عملية الاكل . واذا به - الاستاذ - يعثر على وقد خبأت رأسي بين كفي ، اتمم اكل لمجة . فرفع الاستاذ رأسه وأشار إلي قائلا :

« أش كنا نحكي يا ولد ؟ » .

رفعت رأسي ، وفمي يمتلئ طعاما ، ولم انبس ببنت شفة .

وتكلم الاستاذ ثانية يوبخني :

« أنت ما كنت هوني ؟ ... حيوان ... بليد ... احنا بندرس آداب الاكل

وانت ماك سامع ... ركيك ... استح بدخولها كما تستحي بخروجها...! »

هذا هو اسلوب الاستاذ محمد كامل التونسي الدراسي ، وهذه هي طريقته لاصلاحية والتربوية ، ازاء ابنائه الطلبة ، دراسة ... ارشاد ... فكاهاة . ذلك

ما جعل الأستاذ الفقيد ، موطن الاعجاب والحب والتقدير ، من جميع الطلبة الذي ترعرعوا تحت ظلاله الخضراء الوارفة ، ومن جميع الطبقات الادبية التي كانت ولا تزال في حاجة اليه ، لتدعيم اركان الادب العربي .

ولكن ... يد المنون القاسية ، لم تتفهم كل هاته الامور ، ولم تتمعن في كل هاته الظروف ، ولم تعتبر قيمة هذا الأستاذ الاديب الفذ في الدين الاسلامي ، والادب العربي ، ولم تقدر اتصاله الروحي مع جميع الطلبة ، فاخطفته في شيء من اللامبالاة ، في شيء من الاستهتار .

مات الأستاذ محمد كامل التونسي ، تاركا في عيون الملايين دموعا من الدم ، وفي قلوبهم الحزن العميق ...

مات التونسي ، تاركا وراءه اشرطة من الذكريات ، ستبقى خالدة في نفوس جميع ابناء واصدقاء الفقيد ، ولن تمحي ابدا ، مهما طال الزمن وطال ، لان حب الطلبة والادباء للأستاذ محمد كامل التونسي - رحمه الله - اقوى واغوى بكثير من الزمن .



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رعايتك « للاتحاف » واهتمامك بها خير حافظ لها على الاستمرار في أداء رسالتها الثقافية المسامية .

« الاتحاف » مجلة الجميع : تلم شمل الادباء المبدعين .
وتأخذ بأيدي المبدعين الشباب .

الحافلة رقم 34

بقلم : الحبيب بن فضيلة

هذه الحافلة طويلة كالقطار . إنها تشق الظلام في هدوء تام... على أشعة الضوء المنبعث من فوانيسها الكبيرة يبدو الطريق لامعا، عليه تتكسر تلك الحبال الفضية المتساقطة من السماء. لقد مضى أكثر من ربع ساعة وهذه الامطار لا تكف عن النزول... والسحب المدلهمة تعانق الظلام... الحافلة مكتنزة لحدّ الاختناق... بابها الخلفي لا سبيل الى غلقه، والناس يتزاحمون... يتدافعون ...

يلتفت الى القابض رجل بدين كان قد سدّ المسلك بجبّته وبرنسه وقفّته وعصاه .

- الكلام زايد ... لو كان الفضاء موجود راهم قدموا ...

فيصمت القابض وتظل الحافلة تنهّدي ورائحة الاحذية تفوح كريهة مقرفة ...

عند كل محطة تتوقف صاحبة الجلالة ثم سرعان ما تنطلق وهي تضطرب كالجمار ولا أحد من المنتظرين قد أمكن له اللحاق بركبتها فكل المحطات التي مرت بها مكتنزة بالخلق تنوسط الظلام ...

يا لهذه الاجساد المترهلة.. بعد عشرين سنة يجب أن يبيت الواحد منّا في المحطة ليركب الحافلة !...

كان الناس يتحادثون لطرد الملل ونسيان مشقة السفر ... فالطريق الى المرقاية طويلة ... كان بعضهم يضحك وبعضهم يدخن .. آخرون كانوا يناقشون شرعية هدف الغاه حكم مقابلة كرة القدم ...

كان عبد القادر يركب هذه الحافلة ، لكنه كان يحلق بعيدا عن ذلك المكان... أحد الشيوخ الواقفين حذوه نبيه من شروده عندما أشار الى امرأة تهدل شعرها على كتفيها وهي تمضغ «الشوينقوم» شفتاها القرمزيتان ونهداها البارزان تحت لباس أخضر كالزرع يغريان أكثر من اللزوم ... قال له هامسا :

- أرأيتها ... إنها كالبغلة ... تزاحم الرجال .. ولا تستحي

ذلك أمر طبيعي بحكم خروج المرأة للعمل ..

- أي عمل يا ولدي.. لقد مضى عليّ الآن أكثر من أسبوع وأنا أتردد على

العاصمة من أجل استخراج وثيقة ادارية ... كلما دخلت المكتب إلا وأشاروا علي بالرجوع غدا ... أحيانا أجد امرأة تصنع التريكو وأحيانا أجد رجلا يتناول لمجته ويطالع جريدة ... مرات أخرى يشيرون علي باليد لارجع صبيحة الغد لانهم منشغلون بالكلام الهاتفى ...

ولما تدخل القابض في المحادثة انسحب عبد القادر ... فجأة رأى يدا تمتد .. إنها يد رجل أنيق تمتد بسرعة فائقة الى حقيبة تلك المرأة شاردة الذهن ... لمعت حافظة نقودها بيضاء بين أصابعه.. تأخر الى الوراء وراح يشق الجموع نحو الباب الخلفي وعندما توقفت الحافلة ابتلعه الظلام ... وغرق عبد القادر في هواجسه ... ظل يؤنب نفسه لانه لم ينبه تلك المرأة... ولكن ماذا لو نبهها واتضح أن ذلك الرجل كان مضطرا إلى ذلك اضطرارا لان له أطفال جياع ... أو زوجة مريضة تنتظر منه أن يشتري لها الدواء...!

فجأة صرخت تلك المرأة وكان الزحام شديدا... وعبد القادر ما يزال شارد الفكر ...

- أوه قرصني من فخذي الساقط التفتت إلى عبد القادر وأردفت :
- نفوه عليك... يا نذل... وتحسب روحك وأجل...
حاول أن يتكلم فلم يقدر ... اتسعت عيناه وأحمر وجهه... جف ريقه وتصلبت أعضاؤه كالخشبة وراح ينظر الى المرأة وهي هانجة كالبحر ... في تلك الاثناء تملل الشيخ وتنفذ عصاه... وقال للقابض :
- اه لو كان لعبها جاء معاي..!

ضحك الركاب وحولوا أعينهم الملتهبة إلى الشيخ عندها همست فتاة في اذن المرأة... نبهتها الى ما تعرضت له من نشل فصرخت المرأة.
- ووه سطوشي ... يا وخياني مائة دينار..!
وانهارت على الارض مغمي عليها... وتداخلت الاصوات والمواقف
- حل الشبابك ... دور للصبيطار... هز الناس الكل للمركز ... وانقسمت المجموعة إلى قسمين ... وعلا اللغط ... واحس عبد القادر أنه معني بالسرقة لولا أن قالت له الفتاة ..

- لقد رأيته يا سيدي .. منظره لم يكن يوحي أنه كذلك ومع ذلك فعلها واستل حافظة النقود... لقد رمقتي بنظرة ارتعدت لها فرائصي... فلم أنكلم... وظل الناس داخل الحافلة يتقدون حماسا.. كل قد تعصب لرأيه وقد تشابكت الايدي... لكن الحافلة ظلت تطوي الارض وتمزق ظلمة الليل ...

تطور طرق الامتحانات في بلادنا والغاية منها

بقلم : الناصر بن عبد ربه

ان ظاهرة الامتحان أو المراقبة لتلميذ أو المتعلم بصفة عامة قديمة ، خاصة في الشعوب التي نمت فيها حركة العلم والمعرفة منذ عهود قديمة ، وقد كان الحكم على التلميذ أو المتعلم يخضع في معظمه الى اجتهد المدرس ولا نجد نظاما مضبوطة للامتحان والتقييم .

وبتقدم الحركة العلمية والتخصص علاوة على انتشار المدارس والمعاهد المتولد عن الانفجار الديموغرافي والتعطش للعلم والمعرفة استوجبت الضرورة اجراء الاختبارات بصورة منظمة وفي اجال مضبوطة حتى نحكم على التلميذ بدقة وبأكثر انصاف وعدل .

ولم تشذ بلادنا عن هذه الظاهرة خاصة وانها مهد حضارة عريقة وقد عرفت مدارسها اشعاعا علميا منقطع النظير ولنا في معاهد قرطاجنة والقيروان وتونس (جامع الزيتونة) أحسن دليل .

وما أن استقلت بلادنا حتى انكبت الدولة على وضع مخططات طموحة لنشر العلم والثقافة ورصدت لذلك أموالا طائلة لأن نظامنا يؤمن بالانسان كغاية ووسيلة في نفس الوقت .

وبديهي أن نربط لفظ التعليم بالامتحان والاختبار لذلك مرت بلادنا بالعديد من التجارب في هذا المضمار ، وان معظمها متأثر بالنظام التربوي الفرنسي نظرا لظروف سياسية معروفة . فما هي أهم هذه التجارب بعجالة ؟ وما هي أيجابياتها وسلبياتها ؟

لقد مرت بلادنا خاصة ابان العهد الاستعماري بطريقة الامتحان الواحد ، وهذا الامتحان يجري في آخر كل سنة وهو ما يسمى بامتحان (النقلة) سواء

أكان في الابتدائي أو الثانوي . وإذا حاولنا نقد هذه الطريقة ألفينا أن التلميذ يميل الى الكسل والاسترخاء طيلة السنة لأن كل التمارين أو الاختبارات التي يقوم بها ليس لها انعكاس على معدله السنوي ، ومن ثم تنجم مشاكل عدة ، فالمعلم أو الأستاذ لا يجد النشاط المنشود داخل الفصل . وإذا قرب وقت الامتحان وجدت التلامذة في دوامة نفسية فالدروس متراكمة والمواد متشعبة والوقت ضيق وهو يجهد نفسه لكي يأتي على كل المسائل بالدرس والتحصيل والفهم ولكن بدون جدوى في غالب الأحيان . ونظرا لغلبة السلبيات على هذه الطريقة عدل عنها إلى نظام ثان وهو نظام الامتحانات الثلاثية ويجري هذا الامتحان في موفى كل ثلاثة أشهر ويحتسب معدل التلميذ من المعدل العام للامتحانات الثلاث . أما سلبيات هذه الطريقة فهي تنحصر حسب ظني في المسائل التالية :

- ترك التلميذ شبه حر طيلة شهرين ونصف ، وما أن تدق ساعة الاختبار الا وتجده منكبا بكل ما أوتى من قوة لاستحضار معلومات تلقاها طيلة ثلاثة أشهر وقد يكون الاخفاق حليف العديد منهم خاصة أولئك الذين مالوا الى الاسترخاء في تلك الفترة .

وما أن ينتهي هذا الاختبار حتى ينسى التلميذ أو يتناسى معظم المعلومات التي تلقاها في تلك الفترة لأنه موقن بأنه لن يختبر فيها ثانية ، ومن هنا تنشأ في عقل المتعلم شبه فراغات علمية ويصبح البرنامج مقسما في ذاكرته الى ثلاث حلقات ربما لا نجد رابطا بينها ما عدا - بطبيعة الحال - المواد العلمية لأنها متماسكة الاجزاء كالرياضيات مثلا .

وهذه الظاهرة خطيرة على تكوين التلميذ لأنه يجري لاكتساب المعدل ولا تهمة وحدة البرنامج ولا الزاد العلمي المنشود .

ولا يشك أحد أن ظاهرة التعليم هي ظاهرة اجتماعية خاضعة لسنة التطور الاجتماعية وعملا بهذا المبدأ فقد استوجبت الضرورة الملحة تطوير نظام الامتحانات في بلادنا لغلبة سلبيات الطريقة القديمة على ايجابياتها لذلك سن نظام المراقبة المستمرة وبدأ به العمل في أكتوبر 1973 حسب المنشور عدد 258 / 73 .

ومن أهداف المراقبة المستمرة السامية محاولة القضاء على سلبيات نظام الامتحانات القديمة فنجعل من التلميذ عنصرا مواكبا للبرامج المدروسة طيلة السنة وهو متهيئ دوما للاختبار وبذلك نخلق في الفصل جوا من النشاط والحيوية وينعدم الاسترخاء واللامبالاة .

ومن أهدافها كذلك تقييم أعمال التلميذ تقييما موضوعيا لأننا سنتبع خطاه من أول السنة الى آخرها وكذلك فإننا نعطيه فرصا عديدة للتدارك فإن كبا في فرض فقد ينهض في غيره وبذلك نوفر له امكانيات التدارك المتواصل . ومن محاسنها كذلك هدف نفسياني ويتمثل في أبعاد (عبارة الامتحان) وما تحمله من تأثير بيسيولوجي في عقول التلاميذ ، خاصة بعدما مروا بمحنة اجتياز مناظرة الدخول الى السنة الأولى من التعليم الثانوي ، وبذلك يصبح التلميذ يعمل في جو نفسياني يساعده على العمل المرضي والفوز . وهكذا نستخلص أن نظام المراقبة المستمرة جاء في معظمه لصالح التلميذ .

لكن من البديهي أن نجد في كل عمل بشري ايجابيات وسلبيات لذلك لم تشذ المراقبة المستمرة عن هذه الظاهرة ، ومن الظواهر السلبية هي انعكاسها على زاد التلميذ العلمي ، فالتلميذ مطالب باجراء فرض في ثلاثة دروس أو أقل وبعد اجراء هذا الاختبار يقع نسيان تلك الدروس لأنه شبه متحقق في عدم الامتحان فيها ثانية خاصة اذا كانت أسئلة الأستاذ لا تركز على الشمولية والتأليفية ، وينجم عن ذلك أن تصبح معظم البرامج المدروسة عبارة عن جزئيات صغيرة قد لا تمت لبعضها بعضا ، وهذا له مردود سيء على تكوين التلميذ العام . ويستأنس التلميذ بهذه الطريقة السهلة في الامتحانات مدة ست سنوات كاملة ويصدم في السنة السابعة بامتحان البكالوريا الذي يطالب فيه التلميذ باستيعاب برنامج سنة كاملة أن لم نقل برنامج سبع سنوات من التعليم ومن هنا يتولد الاخفاق والخيبة .

ولو قمنا باحصائيات حول النجاح من سنة لأخرى لوجدناه يتراوح بين 85 و 90 % في كامل معاهد الجمهورية ، في حين أن نسبة النجاح في البكالوريا لم تصل منذ سنة 1980 الى 50 % في أحسن الظروف ، ومن هنا يتجلى لنا الفارق وهو حوالي 40 % .

ومن السلبيات الوخيمة لهذه الطريقة ظاهرة التسبب والعطل المبكرة ،
فالتلاميذ يهجرون معاهدهم من أوائل شهر ماي خاصة في مناطق الشمال
الغربي لأن غياب تلميذ على فرض ما لا يؤثر على معدله السنوي ، ويتولد
عن هذا الغياب المبكر أن البرامج المقررة للدراسة تبقى مبتورة في معظمها
وفي ذلك نقص فادح في تكوين التلميذ العام وسوف يؤثر ذلك لا محالة على
نتائج التلميذ مستقبلا ويكون ذلك حجرة كأداء في مواصلة تعليمه بصورة
طبيعية .

هذه نافذة على التجارب التي مررنا بها ، ونظرا لوجود خلل واضح في
نظام المراقبة المستمرة على صورتها الحالية ارتأت وزارة التربية القومية
ادخال بعض التنقيحات على هذه الطريقة حتى نتلافى السلبيات التي أشرنا
إليها سلفا .

ويربحر الإصلاح الجديد على مبدأ واضح وهو المحافظة على طريقة
المراقبة المستمرة مع ادخال بعض التحويرات الجزئية وأهمها احداث فرض
(تأليفي) في موفى كل ثلاثية ونعني بالفرض التأليفي أي اختبار التلميذ في
مادة ما في كل ما درسه طيلة الثلاثية حتى ندرب التلميذ على هضم جزء
من البرنامج المقرر ونعوذه على الهضم والربط والمقارنة بين دروس عدة
وبذلك نخلق فيه روح التأليف العلمية وما يتولد عنها من روح الخلق والابداع
وندرجه بصورة مباشرة على التمرق على الامتحانات التي يطالب فيها التلميذ
بهضم كل ما درسه طيلة سنة كاملة وبذلك نرفع من نسبة النجاح في شهادة
البكالوريا والديبلوم التقني وغيرهما .

ومن مزايا هذا الإصلاح كذلك القضاء المبرم على ظاهرة العطل المبكرة
أو التسبب لأن التلميذ مجبر على اجراء فرض تأليفي في آخر السنة . وبذلك
تبقى المعاهد تدرس الى موفى شهر جوان وبذلك ينجز الأساتذة
البرامج المقررة لكل مستوى وفي ذلك غنم كبير لتنمية زاد التلميذ العلمي .

هذه لمحة وجيزة حول تطور طرق الامتحانات في بلادنا ، ولقد لاحظنا
أنها مرت بتجارب عديدة لأن ظاهرة التعليم ظاهرة اجتماعية متغيرة تسير
تطور الشعوب والأمم .

ويقيني أن مجتمعنا المتحرك دوما والساعي لما هو أفضل وأسمى لا تؤثر
فيه المحطات التأملية التي تقيم الماضي وتتدبره فتأخذ منه حسناته وتلفظ
سلبياته لتنتقل في المستقبل بحظوظ أوفر للنجاح والفوز .



حملة قومية موضوعها :

الطفل وفطور الصباح، لماذا ؟

بقلم : المولدي العرامي

قبل أن أتعرض الى التوعية الصحية باعتبارها ركيزة أساسية لكل الخدمات الصحية، أودّ أن أتناول بشيء من الإيجاز مفهوم الصحة حسب تعريف المنظمة العالمية للصحة وهو العلم والفن الهادفان الى صدّ غائلة المرض والوقاية منه والعمل على اطالة فترة الحياة قدر المستطاع ورفع مستوى الصحة والوقاية قصد تحسين وضع البيئة والتحكّم في انتشار الامراض المعدية وتعليم الافراد أصول الصحة الفردية وتنظيم الخدمات الصحية لاكتشاف المرض في بؤاذه والوقاية منه وتنمية الجهاز الاجتماعي حتى يتمكن كل فرد من الارتقاء الى مستوى معيشي باعث على الصحة وحتى يمنح كلّ مواطن حقوقه الطبيعية في الصحة وطول العمر وان كانت الاعمار بيد الله.

ومن هذا المنطلق نرى أن التربية الصحية تساعد المواطن على اكتساب السلوك السليم وقد يساعد هذا على التأثير في أسرته التي ينتمي اليها أو أسرته المستقبلية عندما يصبح أباً أو أما فالطفولة هي صانعة المستقبل.

التغذية والتنقيف الصحي :

قد اكتسب علم التغذية أهمية بالغة ناتجة عن ظهور ارتباط وثيق بين الغذاء والصحة، فالطعام عامل أساسي في نمو الانسان وتكامل صحته، وقد أظهر العلم أن الجسم يمكن أن يكون صحيحاً طيلة حياة الانسان في صورة اتباع طرائق تغذية سليمة.

فالتربية الغذائية للفرد تعني بكلّ مكونات الغذاء السليم وكمياته والعادات الغذائية السليمة. وقد كان الدين الاسلامي الحنيف مرجعاً من مراجع علم

التغذية لأن سلوك الفرد الشخصي كان من الاسباب التي تدعو الى النظافة
والى تنظيم واحكام مكونات الغذاء السليم وأحاديث الرسول لله في هذا الباب
كثيرة نذكر منها :

«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ولا نشبع اذا أكلنا - المعدة بيت الداء والحمية
دواؤها - لا تسرفوا انه لا يحب المرففين» .

ويقول ابقراط « دع عقايرك في قواريرك وعالج بالغذاء قبل أن تعالج
بالدواء » .

ويقول الطبيب أبوبكر الرازي : « اذا استطعت أن تعالج بالغذاء فلا
تعالج بالدواء » .

والحكمة القديمة تقول : « درهم وقاية خير من فنطار علاج » .
فذلك هي الرسالة الصحيحة التي يجب أن يضطلع الطب بأعبائها ، وتلك
هي الركيزة الاساسية التي يجب أن تبنى عليها جميع الوسائل الطبية لدرء
الأمراض وحماية الفرد والمجتمع من غوائلها .

وعلم التغذية دعامة كبيرة من دعائم الطب الوقائي ، كما هو ركيزة ضخمة
من ركائز الطب العلاجي . اذا كيف يمكننا درء عائلة الأمراض قبل وقوعها ،
ام كيف يمكننا التخلص من مبرأئ الأمراض بعد التوردي في جحيمها ، اذا
نحن لم نتبع القواعد الصحيحة السديدة واذا نحن لم نطبق النظم الغذائية
الرشيده ؟؟

وانه ليوسفنا حقاً ان نرى الناس في بلادنا يتبعون نظماً غذائية اعتباطية ،
او لا يتبعون نظماً غذائية على الاطلاق . والام وحدها هي الملوحة في ذلك
قبل غيرها من افراد المجتمع .

ألم تكن الأمهات هن اللواتي غرسن هذه الفوضى في نفوس أطفالنا يوم
أبصرت اعينهم النور .

أليست الأم هي المسؤولة الاولى عن فوضى ارضاع طفلها وفساد تغذيته
اذ تعطيه ثديها كلما صرخ أو بكى ؟ في حين أن صراخه وبكاه يكونان
صادرين في أغلب الاحيان عن وجع معوي أو التهاب في اذنيه ؟

إن مستقبل البلاد متوقف عن سيرة الام وتصرفاتها مع أطفالها . لقد كان الاجدر بالام ، بل إنه لواجب عليها أن تطلع على الطرق الحديثة لتربية الطفل لتتخذها نبراسا لها في تغذية طفلها وحمايته من الامراض الغذائية ووقايته من الامراض الجرثومية .

ولئن كانت الام وحدها هي الملمة لكونها هي المسؤولة الاولى عن فوضى ارضاع الطفل وفساد تغذيته إلا أن جانباً كبيراً من المسؤولية يقع أيضاً على عاتق سائر أفراد المجتمع . إذ من الغرابة أن نرى الكثيرين من أبناء بلادنا لا يدركون قيمة تنوع الغذاء في وجباتهم اليومية للحصول على جميع المواد الغذائية الضرورية لحفظ كيان أجسامهم .

فبينما نرى أحدهم مثلاً يقضي الاسابيع وهو يقف بالمواد النشوية والسكرية دون غيرها، نرى آخرين يفرطون في تناول اللحوم وما شاكلها من الاطعمة الغنية بالمواد البروتينية ونرى آخرين أيضاً يفرطون في تناول المواد الدهنية حتى أنهم ليزدردون منها في اليوم الواحد ما يكفيهم شهراً كاملاً.

إن أحدنا إذا أخطأ في لفظة لغوية عند القراءة، أو ارتكب غلطة نحوية أو صرفية عند الكتابة، احتج عليه الناس. أما لو سئل أحدنا عن عملية الهضم وكيف تحصل في معدته وأمعانه وعما يساعدها في عملها أو يعيقها عنه، وعن تركيب غذائه ومتطلباته اليومية منه، أو لو سألنا مريضاً مصاباً بداء السكر عن المأكولات التي يجب عليه الامتناع عنها، لو سألنا كل أولئك وجعلوا كل ذلك، لعذرهم كثير من الناس لجهلهم هذا ظناً منهم بأن هذه المعلومات انها هي من اختصاص الاطباء ولا داعي لأن يرهقوا عقولهم بالبحث عنها واستيعابها. في حين أن جهل الانسان بتركيب غذائه اليومي وأنواع المواد الغذائية التي يتطلبها جسمه يومياً والعوامل التي تساعد على الاستفادة من غذائه على الوجه الاكمل، إنما هو جهل لا يمكن دفع أذاه لانه يؤدي بالانسان الى العلل والامراض الخطيرة.

أليس عجيباً أن يعرف الانسان الكواكب البعيدة عنه والافلاك التي تدور فيها، بينما هو نفسه لا يعرف شيئاً عن البلد الذي يعيش فيه والارض التي يعيش فوق سطحها ويتغذى بمنتجاتها ويتنعم بما تخرجه له ؟

مفهوم التغذية :

يمكن تعريف الغذاء بأنه أية مادة سائلة أو صلبة يمكن للجسم بعد امتصاصها في الدم أن يستعملها.

- 1 - لتوليد الطاقة والحرارة.
- 2 - لنمو أو بناء الانسجة وتعويض ما فقد منها.
- 3 - لحفظ الجسم ووقايته من الامراض.

أما الماء فأهميته عظيمة، إذ أن جميع العمليات الحيوية التي تحدث داخل الجسم لا يمكن أن تتم إلا مع وجود الماء.

وعلى أساس هذا التعريف يمكن تقسيم الاغذية الى ثلاثة أقسام تبعاً لوظيفتها الأساسية :

أولاً : أغذية الطاقة والحرارة، وهي الأغذية الغنية بالمواد السكرية والدهنية مثل الحبوب والخبز والبطاطا والأرز والزيتون.

ثانياً : أغذية البناء، وهي الأغذية الغنية بالمواد البروتينية مثل اللحوم والبيض واللبن والجبن والسّمك والخضر الجافة كالعدس واللوبياء والفول والجبن.

ثالثاً : أغذية الوقاية، وهي الأغذية الغنية بالفيتامينات والأملاح المعدنية مثل الطماطم والسفنازية والمندفوس والفلفل الأخضر والخس وجميع أنواع البرتقال والاجاص أي الخضر والفواكه.

والغذاء هو رأس مقومات الحياة أو أعظمها شأنًا بيد أننا نجد العديد من البشر لا يملكون قدراً وافياً من الغذاء الصحيح الكامل الذي يضمن لهم الصحة والقوة، وما أكثر الناس الذين يجتازون كل مراحل الحياة وهم سيئون التغذية.

أهمية التغذية للطفل

تؤثر التغذية الجيدة تأثيراً هاماً على صحة الإنسان في السنوات الأولى من حياته. فالطفل ينمو بسرعة وهو لذلك يحتاج إلى الغذاء الذي يساعده على تكوين أنسجة جسمه وخلاياه ونموها نمواً صحيحاً. والتغذية الصحيحة تعني تواجد العناصر الأساسية الضرورية في الطعام نوعاً وكماً : فقد نأكل مثلاً كثيراً من الخبز والكسكي والمكرونة فنشعر بالشبع لأن الكمية كافية لسدّ

الجوع، ولكن كل هذه الاصناف تحتوي على نفس العنصر الغذائي «سكريات» ولا تفي بحاجات الجسم الأخرى، فيؤدي حصرها بنوع واحد الى سوء التغذية بالرغم من وفرة الكمية والتغذية تلعب دورا هاما في نمو الطفل في مختلف الفترات التي يمر بها. وتغذية الطفل لا تبدئ بالرضاعة وانما تبدئ وهو مازال في أحشاء أمه أين يتكون وينمو ثم يخرج الى النور بشرا سويا. ومن هنا كان على الأم أن تهتم بتغذية نفسها لان الجنين يعتمد عليها كل الاعتماد في غذائه ويشاركها غذاءها. فمثلا اذا كانت الأم تشكو فقرا في الدم فطبيعي أن يكون ابنها مثلها.

وتتميز السنة الاولى من حياة الانسان بالتطور والنمو السريع من الناحية البدنية والنفسية فيبدأ حياته كطفل يزن حوالي 3 كغ أو أكثر، وأفضل طريقة لتغذية الطفل هي الرضاعة الطبيعية.

وبداية من الشهر الثالث أو الرابع، وجب على الام اعطاء رضيعها كمية قليلة من الاطعمة المناسبة تدريجيا مثل شرب الحليب من الفنجان والاكل بالمعلقة من الصحن حتى نسهل على الطفل غلية الطعام.

أما الطفل في مراحل طفولته الثلاث يتطلب انتباها خاصا وتغذيته مهمة جدا بالنسبة لنموه لأنه بحاجة ماسة الى العناصر التي تبني جسمه وقواه العقلية، وهو محتاج الى التغذية البناءة وخاصة البروتين الموجود في الحليب ومشتقاته والبيض واللحوم بنسبة أكبر من حاجة أفراد العائلة البالغين لأنه مازال ينمو ونموه يتم بسرعة ويبدل جهدا فكريا كبيرا للتعليم وهذا يتطلب منه طاقة اضافية زيادة عن تنقله من البيت الى المدرسة ومجهود اللعب .

أثر سوء التغذية على صحة التلاميذ :

في سن الدراسة يستمر النمو السريع كما رأينا للطفل ويسلترم هذا النمو السريع غذاء خاص كما ذكرنا سابقا، وقد لوحظ أن كثيرا من تلاميذ المدارس يظهر عليهم أعراض سوء التغذية فيرى الطفل غير قادر على مواصلة الدراسة، وتعتل صحته ويتأخر نموه ويصير أكثر قابلية للاصابة بالامراض المعدية وقد لوحظ أن التلميذ لا يتناول في منزله الغذاء الذي يناسبه إما بسبب فقر الاسرة فلا يمكنها تقديم الاغذية المناسبة أو بسبب جهل الوالدين فلا يعرفان ما يناسب طفلهم من غذاء ومن المشاهد العادية أن كثيرا من التلاميذ يحضرون الى المدرسة بدون افطار فيزيد ذلك من ضعفهم بدنيا وفكريا.

إن لفطور الصباح قيمة غذائية هامة وانعكاسات ايجابية على صحة الطفل وعدم الاهتمام بهذه الوجبة له انعكاسات سيئة أهمها :

- الاحساس بالجوع والفتل والصداع وفي بعض الاحيان يؤدي الى الاغماء .
- قلة الانتباه وانخفاض المردود المدرسي.

- الضعف والبطء في نمو الجسم.

وأظهرت الابحاث أن عدم الاهتمام بوجبة فطور الصباح يعود أساسا الى :

- عدم وعي الاولياء والتلاميذ بقيمة فطور الصباح الغذائية.
- استيقاظ الطفل متأخرا لا يسمح له بتناول فطور الصباح في متسع من الوقت.

- فقدان الطفل للشهية نتيجة مرض أو الحاح مفرط من طرف الوالدين أو قلق نفسي.

ومن النصائح التي تتعلق بفطور الصباح نذكر منها بل أهمها :

- الاستيقاظ مبكرا لتناول فطور الصباح.
- مشاركة الطفل في اعداد فطور الصباح بفتح الشهية.
- تناول الحليب ومشتقاته ضروري لنمو الطفل «الحليب غير المعزج بالقهوة أسهل هضما من الحليب المعزج»
- تناول البيض يابساً أو مروباً أو مخلوطاً في أكلة خفيفة وبدون اضافة ملح.
- أكل الأغذية الصلبة كالخضر والغلل تساعد على تقوية وتنمية أسنان الطفل.

- تناول فطور الصباح في الوقت المخصص له بهدوء وبدون انشغال يسمح للتلميذ بمتابعة دروسه في أحسن الظروف ويساعده على الانتباه.
- شرب القهوة والشاي مضر الصحة.

المأكولات التي تشتري أمام المدرسة مضرّة لعدم توفر الشروط الصحية فيها وفي الختام هذا هو مفهومنا وتقييمنا للتربية الغذائية غايتنا هي تحسيس الاولياء لبحث الاطفال على تناول فطور الصباح قبل الذهاب الى المدرسة كي يساعدهم على النشاط والانتباه حتى يتمكنوا من النجاح في دراستهم وفي صحة جيّدة.

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

ضمان السلامة

بقلم : محمد الناجي الوافي

خطب عمر بن الخطاب ذات يوم فقال :

أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلائنتكم وامروا بالمعروف وانها عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم ركبوا في سفينة فأقبل احدهم على موضعه يخرقه فنظر اليه أصحابه فمنعوه فقال : هو موضعي ولي أن أحكم فيه . فان اخذوا على يدي سلم وسلموا ، وان تركوه هلك وهلكوا ، وهذا مثل ضربته لكم رحمني الله وإياكم .

ما أروعه وما أعظمه من مثل ضربه لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لقد استوعب أسمى معاني الحرية والديموقراطية التي يتشوق الغربيون بها اليوم ويدعون استنباطها ويتباهون بها علينا والحال أن الفاروق سبقهم إلى خير من ذلك بمئات السنين حيث أعطى للحرية بمجرد مثل سرده في الفاظ معدودة مفهوما الحقيقى ، وضبط لها حدودها المنطقية ، وبين كيفية ممارستها دون حاجة الى تأليف الكتب والمجلدات .

مثل الارض بسفينة ، واهلها بركاب تلك السفينة إذا تعطب موضع منها يتداعى سائرنا وتصبح مهددة بالغرق ، وإذا سعى أحد الى خرقها وترك شأنه عرّض نفسه وأصحابه للهلاك ، وإن أخذ على يده سلم وسلموا . كذلك شأن الارض ومن عليها لا ينبغي لاحد من أهلها أن يعمل على الفساد فيها أو يتصرف فيها حسب مشيئته وأهوائه الا بما هو مباح حتى ولو كان ذلك في ملكه الخاص سواء كان موطننا او مسكنا ، لان موضعه ذلك لا يعدو أن يكون جزءا من ملك مشترك لا يحق له ان يمس به بمكره أو يلحق به ضررا حتى لا يعرّض المجموعة للهلاك .

وما احوجا الي جعل هذا المثل نصب اعينا ، والعمل باتسارات وتعليمات
عمر وأمثاله من السلف الصالح حتى نجنب أجيالنا ومجتمعاتنا والانسانية
قراطية ويلات بدع هذا العصر التي لا تكاد تظهر في بلد حتى تنتشر في جميع
البلدان ، والمفاسد والموبقات التي ما أن ياتيها قوم حتى تسري عداوها بين
كافة الشعوب والمجتمعات . لقد أصبح الفرد عاجزا عن صد جحافل الشر
والمنكر وكتائب الفساد المتفشية والتي تغزونا من تحتنا ومن فوقنا ومن بين
أيدينا ، تلاحقنا في الشوارع وتفتح علينا البيوت فيجرقنا تيارها طوعا او كرها
ويعضي بنا إلى المهوي السحيقة .

لقد ألفت اسماعنا ألفاظا ومصطلحات غريبة ، وعهدنا أفعالا منكرة
ومظاهر مزرية لا تليق بالانسان الذي كرمه الله بالعقل وهي تنبئ بترد
مهول وجاهلية هوجاء وغياب للوعي وفراغ ديني وتربوي مخيف . فمن
ظاهرة الاستعمار والاستبداد والاقطاع والعنصرية الى الارهاب والانحراف
والشذوذ والاعتصاب والرشوة والربا والمخدرات وما الى ذلك من الكبائر ، الى
الخيانة والغش والكذب والرياء والنفاق وغير ذلك مما نعهده من المألوفة التي
تزخر بها حياتنا اليومية . وقد يتبادر الى الذهن أن الامر لا يعنينا في شيء إذا
لم نكن طرفا مباشرا ، غير أن مثل عمر يعيد إلينا الصواب ويحسنا بننا
معنيون حتى ولو وقع الفساد أو المكر في الطرف الآخر من الدنيا باعتبارنا
ضمن ركاب السفينة أو بالأحرى من سكان هذه الأرض وإذا وقع الإفساد في
أي موضع منها فإن الوبال سيعود حتما على أهلها جميعا إن عاجلا أو آجلا ،
وإذا ما تم ذبح الفضيلة وتقويض أركان القيم العليا في أي ناحية منها
واستبدلت بالرديلة والشهوات الحيوانية فإن الدعوى سنتنقل بالضرورة على
متن الأثير إلى بقية الأرجاء .

أما في نطاق المجتمع الواحد فالمثل يتجلى أوضح وأدعى للتأمل
والاعتبار ، لأن المواطن أو الجار إذا استباح لنفسه أو لأسرته أشياء منافية
للعرف والاخلاق والقيم الانسانية فانها سرعان ما تنفث بين بقية الاجوار
والمتساكنين بحكم الاختلاط وسنة الناصر والتأثير للذين لا مفر منهما ، فإن
ترك وشأنه استفحل الداء حتى يصابوا جميعا ، وإن أخذوا على يده وتصدوا له
ومنعهو سلم وسلموا .



الحلة السوداء

محمد العياشي طاع الله



عينك زرقاوان
أضناها توارد الأيام
وأنت في رخاوة الأحلام
تستمرنين غفوة الكرى
تصيبك غاشية البهاء

عينك زرقاوان
كالبحر !
يلوح في أعماقه المرجان
أمواجه الحسان
تستعذب زرقتها الأسماك
فتقع في قبضة الثبّاك

★ ★ ★

أشكوك للآلام
يا شفة قد حجبت عن الضياء واحة الأحلام
وأشعلت بداخل الفؤاد وقدة الغرام
أشكوك للرياح
يا خمرة قد عجزت عن حقنها الأقداح

يا زهرة تخاصم الندى
تكلّ أهدابها بنسمة الصّباح
تناجي في هيام زرقة السّماء
تخضّب شفاها بحمرة المساء
في آخر النّهار
تزفّ للظلام
تزغرد في عرسها الرّياح
تهلّل النّجوم
فتنثني بواسق الأشجار
وترقص الأقمار
أشكوك للأيام



يا نجمة قد مرّقت ستائر الظلام
في اللّيل لا تنام
تضيء كالسّراج
وتعلن احتجاجها تمام الاحتجاج

★ ★ ★

جبالك قد سحر العيون
قد زاد في جنون من أصابه الجنون
البحر في عينيك
والعمر قد وهبته إليك
يا لوحة قد جمعت روائع الفنون
يا كوكبا ينير ظلمة المحزون

★ ★ ★

حبيبتي الشّقاء
تعجبني حلّتك السّوداء
إذ أنت كالخطاف بالسّماء

حين أراك ترندين الحلة السوداء
تطل من عيونك بشائر الوفاء
وتصبحين في خيالي قبة سوداء
صومعة تعانق السماء

★ ★ ★

حلتك السوداء يا حبيبتي
ليل نجومه لا تعرف الأفول
وبدره لا يرتضي الأفول
بنيت من ريعان حبك القصور
نسجت من أهدابك عرائش الأمان
شدت من رخاوة الأحلام واحة الحبور
يا درة تنافس الدرر
حبيبتي
يا بدري المنير
يا كنزي الكبير
يا زهرة سمت عن الزهور

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

ما تقرأونه في الأعداد القادمة

- تفتح «الاتحاف» في عددها التاسع ملفا حول القصة التونسية الحديثة :
نصوص لرضوان الكوني والتابعي الاخضر وعبد الوهاب الفقيه وتناولات
نقدية لحفناوي الماجري والحبیب الدريدي.

لقاء

محسن الفريجي

يهفو قلبي اليك يوم التلاقي
والأمانى جميعها في سباق
ما سعينا إلى اللقاء ولكن
صدفة ما أذهبا من مذاق
جمع الود بيننا فارتويننا
ودعانا للوعة الاشواق
نتحاكى الاشواق يدفعنا القلب
لنشقى بفتنة الاحداق
فالعيون التي نحقق فيها
سحرها يستقر في الاعماق
كلما صوبت لنا نظرات
نتحدى الرموش بالاشفاق
والهوى كان هانما من زمان
مال عبر القلوب للاشراق
بعد أن كان في الضمان سرا
ظهر الآن باسماء في المآقي

قصة قصيرة

التدريج

بقلم : دليلا الزيتونى

القطار مضى وخلّفك على رصيف المحطة تلك أحلامك المتلاشية وتندب فرحك المصلوب في ساحة الأيام . عبثا تحاول أن تنسى ، عبثا تحاول أن تسلو هواها ، يصفدك العجز بقبضته الفولاذية . تصفدك هي بحضورها الدائم في مدارات أحلامك . سنوات وأنت تهفو إليها . تتابع خطواتها ، تحترق في أتون حبّها .

ما استطعت البوح لها بما يختلج في صدرك . ما استطعت تحطيم الجدار الذي يفصلك عنها ، ما استطعت الصعود إلى عليائها . تقدمت بك المن ولاحت بواذر الشيب في شعرك وأنت لا تزال تتلذذ حلمك الجميل الذي ما استطعت الاستفاقة منه لأنك تخاف صدمة الواقع ولأنك تدرك تماما بأنها لن تكون لك وحين يقول لك صديقك :

- لماذا لا تتزوج ؟ ماذا تنتظر . من تزوج ملك نصف دينه .

تجيبه بمرارة :

- هي ، هي الوحيدة القادرة على زرع بذور الفرح في تربة أيامي . لن أتزوج سواها .

- ماذا تنتظر . لماذا لا تكلمها ؟

- الخوف يشل لساني ، قد ترفضني .

كنت تستشعر ردها وتفضل أن لا تسمعه ليظل برج أحلامك قائما يحتوي بقية أيامك . اكتفيت بصداقتها على أمل أن تزرع زنايق حبك في أعماقها .

مرت الأيام ولكن شيئا من ذلك لم يتغير . طُلت كما هي وكما عرفتها . تأنيك بين الحين والحين عندما ينتابها القلق وتحاصرها مشاكل الحياة . تجلس

إلى مكتبك لتحكي لك عن همومها وهواجسها ، تحكي لك أنت لأنك الوحيد الذي يفهمها في هذه المدينة التي تغترس أحلامها بشراسة وحش كاسر وتجهض كل محاولاتها للخروج من شرنقة الحزن والولوج إلى برج السعادة . ولكن أية سعادة ؟

كانت تحبك على طريقتها الخاصة . ذلك الحب الروحي الذي لا تشوبه رغبات الجسد ، كانت تعتبرك صديقا وأخا عزيزا تهرع إليه عندما تضيق بها الحياة ولم يخطر ببالها قط أنك ستطلبها للزواج . وذات مرة كنت تتحدث عن المرأة والحرية استحسنيت كلامك ردّت عليك مازحة .

.. لو كنت أعرفك أيام شبابي لكنت أحبيتك ...

تغيرت نبرات صوتك . اكتسبتها رعدة خفيفة أحسست أن ساعة البوح حانت . ردّدت بهستيرية :

.. لماذا لا تحبينني الآن ؟ لماذا ؟

اندهشت ، فقدت قدرتها على الكلام . ظلت تحملق في وجهك صامتة . أعدت السؤال ، ردّت في ذهول :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

.. لا ، لا يمكن ...

لم تستطع أن تقول لك بأن أعماقها شاخنت وتصلّبت تربتها وما عادت قادرة على احتضان بذور حب جديد وصدمات نفسية أخرى .

نهضت وسارعت في الخروج من مكتبك .

مضت أيام ولم تأت . ظل كرسيها المعتاد فارغا يرمقك في تحدٍ ساخر ... أوراقت المبعثرة على المكتب هنا وهناك تناديك تنوّل إليك كي تلمّ شتاتها وتنثر عليها حبر أقلامك . لكن أقلامك جفّت .. أفكارك ماتت . كلماتك انتحرت ... أحاسيسك ضاعت وبرج أحلامك انهار إلى جانبك وسنوات عمرك الضائعة هدرت ، انتصبت أمامك ثكلى لتحاسبك الحساب العسير . إنها رحلت وخلفتك لليالي السهاد ماذا تنتظر ؟ مرق شرنقة الألم . لا تقف في مكانك . تقدم وابدأ من جديد واخلق من النهاية بداية ومن الألم عناقيد فرح قائم .